الباب الثالث
البلدة القديمة ـ معالمها الأثرية

الفصل الأول: البلدة القديمة وكيفية بناء البيوت.

الفصل الثاني: القرى الحرستانية التي درست.

الفصل الثالث: أحياء البلدة.

الفصل الرابع: المساجد.

الفصل الخامس: بعض المعالم الأثرية.

الفصل السادس: ما قيل في حرستا من شعر.

الفصل الأول
البلدة القديمة وكيفية بناء البيوت

كان امتداد هذه البلدة خلال العصور يتعلق في الدرجة الأولى بالأمن وانتشاره. ففي الفترة التي يخيم فيها الأمن ويسود نرى أنَّ المنازل تقترب من الطريق العام[1] (السلطاني) طريق دمشق القديم. وعندما تنتشر فترات من الظلم نجد أن المنازل تحاول أن تبتعد بصورة عامة عن هذا الطريق، فنجد حرستا تحاول أن تقع وسط البساتين وتختفي عن الأعين وتبتعد عن الطريق. حتى إن الأرض القريبة من الطريق كانت قليلة الثمن وأرخصها سعراً وأقلها عناية تلك التي بجوار الطريق تماماً. ولكن عندما عاد الأمن فخيَّم على البلاد بدأت تقترب بصورة تدريجية من الطريق العام حتى إنها اليوم أخذت شكل الطريق وتمتد من مفرق مديرة في الشرق ثم تنحرف نحو الجنوب مع اتجاه الطريق.

المسكن الحرستاني: كان المسكن الحرستاني محتفظاً بكثير من أوضاعه القديمة، خاصة للوسط الطبيعي الذي يفرض عليه مادة البناء المحلية. وإذا رأينا في المساكن الحرستانية بعض التطور الحديث فهي في بيوت الأغنياء من الفلاحين. فالمسكن الريفي كان منسجماً مع البيئة الطبيعية، وهو يختلف عن المسكن المدني في أنه مكان للسكن والعمل في الوقت نفسه. في حين أن مكان السكن غير مكان العمل في المدينة. وعلى هذا فالمنزل الريفي يعكس التأثيرات الطبيعية باعتباره مسكناً وملجأ، كما يعكس التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية باعتباره مكاناً للعمل. والمسكن الريفي[2] في حرستا يظهر لنا مدى تلاؤم

---

(1) الطريق العام: يبدأ من مفرق عربيل القادم من دمشق وقد بني على جانبه الأيمن إدارة المواصلات والنقل ويكون مستقيماً حتى منطقة الكوع، فينحرف نحو الشرق وعلى جانبيه مدرسة حرستا الريفية، ومخفر الشرطة، وعن شماله تقع بلدية حرستا وشرقها سوق الهال. وتعدّ المحلات التي على جانبيه من أغلى الأرض سعراً في بلدة حرستا.

(2) الريف: وهو ما يقارب الماء والخضرة من الأرض، ومن هنا كان استعمال هذه الكلمة منحصراً بمصر والعراق دون الشام لتفوقهما عليه بالماء والخضرة، ثم أطلق عندنا على الأقضية والنواحي والقرى توسعاً في المعنى. وإذا نظرنا إلى ريف دمشق نرى أنه العمود الفقري في كيان مدينة دمشق، فمنه الأيدي العاملة في جميع المزارع والمصانع، ومنه الدم النقي الذي ينبض بالنشاط ويجدد قوى المدن الهرمة. وقد كان ريف دمشق يعيش في مناظر العصور الماضية وتقاليدها البالية، لأن أوضاعه العمرانية وشؤونه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية لم تنل بعد تبدلاً أو تحسناً أساسياً يناسب حاجات العصر الحاضر ومطالبه العديدة.

الإنسان مع بيئته الطبيعية ومستواه المعيشي، كما يعكس لنا مدى التطور الاجتماعي والثقافي الذي وصل إليه. فالفلاح لا يبنيه كملجأ يأوي إليه، يقيه حرّ الصيف وقرّ الشتاء فحسب، وإنما كأداة زراعية تتلائم مع حاجاته في الاستثمار الزراعي.

مادة البناء : إن صعوبة النقل التي تؤمن على الحيوانات ورداءة الطريق وفقر الفلاح، كل هذه الأمور جعلت الفلاحين يقتصرون في بناء بيوتهم على المواد الأولية المحلية المبذولة التي تقدمها الطبيعة بسخاء، فنجد التراب والأخشاب وخاصة خشب شجر الحور الذي ينمو على الضفاف حول الأنهار والسواقي مما يجعل هذه البيوت تبنى من التراب والخشب.

البيوت الترابية : وهي أقدم هذه المساكن وأكثرها انتشاراً، إذ تعتمد على التراب في الدرجة الأولى، وهو تراب الأرض الذي تقوم عليه البيوت. ويدخل الخشب في البناء مع التراب لتغطية المساكن بالسقف ودعم الجدران.

إن البيوت الترابية على اختلاف أشكالها أكثر أنواع البيوت انتشاراً على سطح الأرض. فأكثر من نصف سكان العالم كانوا يقطنون بيوتاً مصنوعة من التراب، وقد توجد البيوت الترابية أيضاً في بعض البقاع رغم وجود الحجارة فيها. وإن انتشار هذه البيوت يعود إلى الفوائد التي تقدمها للريفي وهي :

1 ـ سهلة البناء.

2 ـ سهلة التجديد إذا ما تخرّبت.

3 ـ لا يكلّف بناؤها أموالاً زائدة بسبب رخص المواد الأولية، ورخص نفقات الصنع.

4 ـ تحتفظ بالرطوبة، لأن التراب قليل المتانة فيقضي ذلك تقليل النوافذ وإن وجدت فصغيرة.

ويتبع الفلاحون في حرستا وسائل متعددة لبناء منازلهم وذلك حسب الزمن فنجد : في القديم : أن البيت السائد هو البيت المقام من التراب المضغوط، وهذا النوع من البيوت هو النموذجي الأول للبيت الريفي بصورة عامة، ولكنه آخذ في الزوال بصورة تدريجية، وجدران هذا البيت هي نفس الجدران التي كانت تحيط بالبساتين والتي يطلق عليها اسم (دكوك).

أما طريقة إقامة الجدران فهي أن يؤخذ لوحان كبيران من الخشب ارتفاع الواحد منهما يقارب المتر، أما طوله فيكون عادة 170سم ويوصل بينهما في النهايتين بلوحين صغيرين من الخشب، وتشدّ الحبال ثم يوضع التراب المبلّل بالماء ويطرق بواسطة مطرقة خاصة حتى يصبح كتلة واحدة ثم تفك الحبال وترفع الألواح وتعاد العملية وهكذا حتى تنتهي الجدران. وأكثر ما يكون ارتفاع الجدران للبيت أن تكرر هذه العملية فوق بعضها مرتين أو ثلاث مرات، ولكن يفصل بين كل عملية وأخرى (أوسجة)[1]. ويقول ابن خلدون عن بناء هذه البيوت: (ومنها البناء بالتراب خاصة، يتخذ لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير فينصبان على أساس وقد بوعد بينهما بما يراه صاحب العمل في عرض الأساس ويوصل بينهما بأذرع من الخشب ويربط عليها بالحبال وتسدّ الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بلوحين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس ويركز بالمراكز حتى يتم ركزه وتختلط أجزاؤه ثم يزاد التراب ثانياً وثالثاً إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد اللوحان على الصورة نفسها ويركز ذلك إلى أن يتم، وتنظم الألواح كلها سطراً فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحماً كأنه قطعة واحدة، ويسمى الطابية وصانعه طوّاب)[2].

وهذا النوع من بناء البيوت قد بدأ بالإنقراض منذ سنوات، وكان يستعمل قديماً بصورة عامة لإحاطة بعض البساتين؛ وخاصة بساتين الأغنياء. ويوضع على سطح الجدران هنا قشاً طويلاً ثم يوضع عليها التراب حتى لا تؤثر العوامل الطبيعية مباشرة بالحائط.

وهناك نوع آخر من البيوت يبنى من اللبن، وطريقة صناعته كما يلي:

يمزج الطين مع التبن والقش حتى يكون الطين أكثر تماسكاً وحتى لا يتشقّق اللبن عندما يجف ثم يوضع في قوالب[3] خاصة ويضغط ثم ترفع القوالب، وتعاد العملية آلاف المرّات. وتختلف القوالب في أطوالها فبعضها يبلغ 12 قالباً، وبعضها 16 قالباً، وبعضها

---

(1) يُطلق عليها في الغوطة بصورة عامة صف أو صفين من الحجارة.

(2) مقدمة ابن خلدون: ص 303 دار صادر بيروت. و«الطابية» تسمى في حرستا (الكابية).

(3) يقسم القالب عادة إلى ثلثين وثلث، يطلق على الثلثين اسم اللبنة، وعلى الثلث اسم نصف لبنة.

18 قالباً. والقالب يساوي عادة 54 . 2سم، ويبقى اللبن في الشمس حتى يجف ويرش عليه التبن ويُقلَّب ويُوقف على جوانبه حتى لا يبقى تحت اللبن مبتلاً فيؤخر في جفافه.

إقامة الجدران : يُصفُّ اللبن بجانب بعضه على أساس من الحجارة، ويفصل بين صف وآخر صف من الطين، كما يفصل بين كل لبنة وأخرى قسم من الطين حتى يتماسك اللبن مع بعضه. وهكذا تنتهي إقامة الجدار ويُترك عادة فراغات من جهته الداخلية يطلق عليها اسم (كتابي)، واحدها (كتبية). أما في الجدار المقابل للباب فيصنع فراغ كبير يدعى (اليوك) يوضع فيه الفرش واللحف والوسائد، ويصنع بجانبه كتبيتان صغيرتان، وفوق الباب يصنع منور صغير وذلك لرؤية الضوء حين يظهر بعد الفجر، وكثيراً ما كانت تعيش فيه السَّتاتي (الحمامة البيتيَّة المعروفة).

وبعد ذلك تُطلى الجدران من جميع جهاتها بالطين الممزوج بالتبن، ومتى جفَّ الطين تَصنع النساء مادة بيضاء من أحجار الكلس المنقوعة بالماء وتَطْلي بها الجدران. وهذا النوع من البيوت كان منتشراً بصورة عامة، بينما كان قديماً عندما كانت البيوت تُقام من الدكوك، كان بيت الأغنياء فقط.

وهناك نوع ثالث من البيوت يعتبر أيضاً قد انتهى زمنه وزالت معالمه وآثاره، وهو البيت المقام من اللبن والخشب. ويتم بناء هذا البيت بمرحلتين:

المرحلة الأولى : صنع الهيكل الخشبي للبيت وتثبيته في الأرض.

المرحلة الثانية : تملأ فراغات الهيكل الخشبي باللبن وأكثر ما يكون وضع اللبن بصورة مائلة، ويحتاج هذا البيت إلى كمية وفيرة من الأخشاب، وأكثر ما يكون هذا البيت طابقاً ثانياً، وهذا ما نجده في أكثر الطوابق الثانية القديمة في حرستا. أما الحواجز التي تفصل بين الغرف فتتألف من الخشب فقط، وهي عبارة عن قطع أفقية توصل بعمد قائمة. وهذا النوع من البيوت يسمح بجعل عدد كبير من النوافذ وتوسيعها كما أن الباب يمكن أن يكون واسعاً.

وجدران هذه البيوت على اختلاف أنواعها لا تبنى مباشرة على الأرض، لأن المياه قد تتجمع في أسفلها وتؤدي بها إلى الإنهيار لذلك يعمد إلى صنع أساس لها من الحجارة

ويختلف ارتفاع الأساس على وجه الأرض من منطقة لأخرى. أما عمقه في الأرض فتابع لنوع التربة وصخورها.

سقوف البيوت : يصنع سقف البيت من أعمدة خشب الحور، ويوضع الجسر أولاً، ويكون أغلظ من غيره، ثم توضع الخشبات من جهة مخالفة لوضع الجسر، بحيث يتبادل رأسه خشبة مع أسفل أخرى حتى تكون جميع النواحي تتحمل أكثر ما يمكن من المقاومة، ثم يوضع فوق الخشبات إما القصب أو أغصان الزيزفون التي كانت منتشرة في البلدة بشكل كبير، أو يوضع سوق نبات البندورة، وإما طبقة من الخوص إن وجدت. هذا في البيوت القديمة أو البيوت المتواضعة وذلك قبل انتشار مناشر الخشب.

أما حديثاً فإنه توضع ألواح من الخشب، ويعود ذلك إلى زيادة الخشب كما وزيادة المناشر إما في البلدة أو لسهولة المواصلات إذا كانت المناشر في المدينة. وبعد ذلك يوضع تراب مبلَّل على سماكة 15سم يُطلق عليه اسم (البلّة). وأخيراً يُوضع الطين الممزوج بالتبن حتى لا يتشقق السطح عندما يجف. ويحرص أن يكون السقف مائلاً حتى يسهل سيل مياه المطر وينتهي هذا الميل بمزراب أو اثنين حسب ما يكون السطح كبيراً أو صغيراً، ويكون السقف زائداً عن الجدران حتى تكون في حماية من الأمطار.

البيوت الصَّيْفيَّة:

إذا تجولنا في الصيف بين بساتين البلدة وحقولها نجد بيوتاً منتشرة هنا وهناك مصنوعة من أغصان الأشجار. فالأُسر تقيم في الصيف بجانب مزروعاتها وخضراواتها فتحتاج إلى بناء بيت مؤقت فتصنعه لذلك من أغصان الأشجار وخاصة أغصان شجر الحور والصفصاف، ويُطلق على هذا البيت الصيفي في حرستا اسم (الخُمْ)[1]، ويزرع أمام هذا الخم الذرة، ونبات الزينة، والقنديل كي تكون سترة للنساء اللَّواتي يعملن بجانب أزواجهن في الحقول. ومتى انتهى فصل الصيف وجاء تشرين الأول نجد أنَّ هذه البيوتات

---

(1) إذا نظرت إلى البلدة في فصل الصيف، كنت تجدها شبه خالية من أهلها، حتى أن بعض الحرستانيين الذين لا يملكون أراضي زراعية، كانوا يقومون بضمان بعض الخضراوات، أو ضمان شجر الجوز والمشمش أو التين وذلك كي ينتقلوا إلى الحقول ويقضون بها فصل الصيف ويصنعون لأنفسهم خمّاً ينامون فيه.

الصَّيفيَّة قد زالت من البساتين تماماً. ويبدأ الحرستانيون بالانتقال إلى الضَّيعة وحمل أمتعتهم على الطنابر والكراجات التي تجرها وتشدَّها الخيل والبغال أو الحمير.

مخطط البلدة القديمة:

لاشك أن انتشار الفوضى وفقدان الأمن خلال العهود السابقة، من أهم الأسباب التي أدت إلى تجمع مساكن البلدة وتقاربها من بعضها، فتزاحمت منازلها وتكاثفت، تاركة فيما بينها طرقاً وممرات ضيِّقة وملتوية، ويتوسط الطرق خندق موحل بسبب المياه القذرة المتدفقة من البيوت التي تكتنف الطريق من الجانبين. وكثيراً ما تتسرب مياه الري متدفقة من الحقول المجاورة فتغرق بقعاً من الطريق، وتجعل من العسير سلوكه حتى على المارة والدواب. كما تنتشر أكوام من الفضلات والقمامة، مما يجعل المرور أمراً غير يسير. أما الممرات المؤدية إلى البلدة؛ فتنفصل عن الحقول المجاورة بجدران (دك) ترابية عالية تزيد من ارتفاعها على ثلاثة أمتار، بينما تطل أشجار الجوز من الجانبين لتؤنس المارة بظلِّهما وثمرها ونضارة أوراقها. ويتوسط البلدة سوق حرستا القديم، وهو لا يضم سوى بضع دكاكين، ويزداد عددها واتساعها كلما كبرت البلدة لتفي بحاجات الكثرة العددية للسكان، وقد لا يشعر الإنسان بوجود الدكَّان ما لم يقترب من بابها، إذ إنَّ معظمها في الأصل قد أُقيم في جبهات المنازل بعد خرق جدرانها.

وأول حاجة تعترض المزارع هي وجود ملجأ لنفسه، ثم وجود ملجأ يقي فيه حيواناته ومؤونته. أي يصبح للملجأ غرضان رئيسيان وهما إيواء الأسرة ومركز للاستثمار تحفظ فيه المحاصيل وتوضع فيه أدوات الإنتاج والحيوانات والبهائم.

وعندما يشرع الفلاح الحرستاني ببناء بيته يبني اصطبلاً لحيواناته ويسمى في حرستا (البايكة)، ولكي يؤمن لها غذاءها أيام المطر والبرد يبني بيتاً خاصاً يوضع فيه التبن ويقال له (المتبن) ولكي يؤمن محاصيله فإنه يفرد لها بيتاً يسمى (بيت المونة)، ويضع فيه العنابر (الكناديج) الخشبية لحفظ الحبوب والغلال. وقد كان الفلاح لا يبني غرفاً خاصة تزيد عن حاجته. فغرفة واحدة للنوم، وأخرى للمؤونة، وثالثة لغذاء حيواناته، ثم الإصطبل الذي يدخل إليه من باب خاصة أو أن باب الإصطبل يكون وراء الباب الخارجي بصورة عامة. كذلك توضع أدوات الزراعة من محراث ونير ومنجل كلها توضع وراء الباب الخارجي.

ومن مميزات البيت الريفي في حرستا بصورة خاصة وفي الغوطة بصورة عامة الليوان (الإيوان) وهو وجود بيتين متقابلين مسقوف ما بينهما، وأكبر هذين البيتين ما يسمى (القاعة)، وفيها الفجوات التي يوضع فيها أدوات الزينة من آنية وصيني، واليوك الذي توضع فيه الفرش واللحف والوسائد، وفيها عتبة كبيرة. وأما باحة الدار فإمَّا أن ترصف بالحجارة الصغيرة وإما أن تبقى كما هي. أما بيوت الأغنياء فإنهم يطلونها بالملاط كما يطلون الجدران إلى منتصفها.

أما الليوان، فيكون موضعه في صدر الدار، وهو مسقوف دوماً، ينفتح على فسحة الدار بقوس حجري يعتبر دليلاً على النفوذ والثراء، ويتجه إلى الشمال بشكل عام. وتخلو المساكن من النوافذ الخارجية في أغلب الأحيان، بسبب تمسكهم الديني الشديد وخوفهم من السرقات، وإن ظهرت بعض النوافذ فهي ضيقة وعالية. وتزرع أشجار العنب في فسحة الدار. ونادراً ما كانت البيوت في حرستا تخلو من وجود دالية العنب الزيني الذي لا مثيل له في البلاد. ويُحفر بئر في زاوية الدار لتخزين المياه التي تأتي البلدة من نهر يزيد بواسطة ساقية مكشوفة ويُوضع عليه مضخة يدوية.

هذه الأنواع من البيوتات، وهذه المخططات كلها قد تغيرت وربما بنيت بيوت بالأحجار بعد أن سهلت المواصلات، وساعدت الحالة المادية بعض الحرستانيين. حتى أن بلدية حرستا آنذاك جعلت بناء واجهة البيت على الطريق العام من الحجارة أمراً ضرورياً، وذلك في المناطق ذات التنظيم الحديث، والمنازل التي بنيت في المناطق القديمة كثرت واتسعت وما زالت معالمها إلى يومنا هذا.

وبعد أن كنا نرى أن الحرستاني لا يبني إلاَّ الغرف الضرورية له، أصبحنا نجده يبني بيوتاً وغرفاً زائدة وذلك بغية التجارة والإيجار بعد أن ازداد الإقبال على الإيجار وبعد أن:

1 ـ نزل في حرستا كثير من الفلسطينيين.

2 ـ بنيت ثكنة عسكرية شرقي البلدة، وهكذا أضحت مسكناً لكثير من عائلات الجنود الذين يعملون في الثكنة.

3 ـ استوطن في حرستا كثير ممن يعملون في المعامل التي أضحت قريبة منها.

4 ـ سهولة المواصلات التي أضحت لا تقل في أهميتها عن مواصلات العاصمة نفسها من حيث التنظيم وعدد السيارات، مما جعل كثير من سكان دمشق نفسها الذين يحبون الخلود والهدوء يلجؤون إلى حرستا فإما أن يستأجرون كما هو الحال في عدد من طلاب الجامعة الذين هم من خارج دمشق، وإما أن يبنون بيوتاً فيها وهم بصورة عامة من سكان دمشق نفسها.

توسع البلدة:

لما أرادت حرستا أن تتوسع في بنائها عن المنطقة القديمة التي هي نواتها وجدت نفسها أنها محاطة بقطع كبيرة من الأرض لا يمكن أن تباع، كما أنه لا يمكن للفلاح أن يبني بيته بعدها لأنه يكون منعزلاً بصورة كبيرة، مما يخلق أمامه مشكلات كبيرة تتعلق في الأمن وتأمين حاجاته وهذه الأرض هي من الشرق أرض (الزحلة) التي يعود ملك أراضيها لعائلة اليوسف (الباشا)، وفي الجنوب الشرقي أرض (البلاطة)[1]، ومن الجنوب أرض البيدر (السهل)، ومن الجنوب الغربي أرض المقبرة (التربة)، ومن الشمال أرض (البيدر الشمالي).

لذلك لم يكن هناك مجال أمام الحرستانيين لتوسع العمران إلاَّ من الناحية الشمالية الغربية. ولكن لا يمكن أن يبنى في هذه المنطقة إلاَّ أصحاب أراضي تلك المنطقة نفسها. كما أنَّ بُعد تلك المنطقة عن الطريق العام يجعلها غير مرغوبة بصورة كبيرة للبناء وخاصة بالنسبة إلى الذين تُكثر زيارتهم لدمشق مما يجعلهم يلاقون مشقة كبرى في فصل الشتاء بصورة خاصة، ولأن هذه المنطقة أبعد مناطق حرستا عن الطريق الذي يقع في الجنوب الشرقي من البلدة. وعلى كل حال فقد امتد العمران إلى هذه المنطقة قبل غيرها بسبب الضرورات التي ذكرناها.

ولكن وفي أواخر القرن الماضي بدأت حرستا تتوسع في جميع الجهات. فقد ابتدأ التوسع من ناحية الجنوب، لأن البلدية قد باعت البيدر الجنوبي، ولأنها منعت وضع القش فيه. ثم تلا بعد ذلك بيع أرض البيدر الشمالي وأيضاً قد منع وضع القش فيه. وهذه هي

---

(1) البَلاطة: صفائح الحجارة التي يُفرش بها. ومنه بلاط الملك، أي قصره ومجازاً مجلسه وزعماؤه وهي أرض مستوية ملساء. وقيل: إنها بلاط الملك الغساني الحارث بن جبلة.

المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فقد جاءت بتقسيم أرض عائلة (اليوسف) بين الأوقاف والجيش والورثة مما ساعد على البيع. وبالفعل فقد بيعت كل الأرض المجاورة للبلدة وقد خُططت هذه الأراضي ونظّمت تنظيماً حديثاً وبنيت بناءً شاهقاً مما زاد في توسعة البلدة امتداداً وزيادتها سكاناً وذلك لأن قسماً من أهل دمشق يشترون في هذه العقارات، بل أن أكثرها تباع للدمشقيين. وقد شهدت بلدة حرستا حركة عمرانية واسعة خلال السنوات الأخيرة، فعملت على تغيير الكثير من معالم البلدة القديمة وأدّت إلى تبديل واضح في مخططها العام، وناهيك عن تبديل سكّانها وتغيير العادات والأحوال، وانتشار السيارات في شوارعها وحاراتها، مما سيجعل أهلها الأصليون يَحنُّون إليها وهي قرية صغيرة فيها الهدوء والسكينة، ولكن هذا حال كل قرية قريبة إلى المدينة.

الفصل الثاني
القرى الحرستانية التي درست

هي عدة قرى صغيرة، كانت بجانب حرستا في الماضي ولكنها درست ولم يبق إلاَّ اسمها، وهي الآن أراضي زراعية نذكر من هذه القرى:

1 ـ الأرجام: وهي خرابات قرية عظيمة شمالي حرستا في الجبل، ولا يزال الأهلون في القرن الماضي يستخرجون منها بعض الخزف والأواني والأساور والخواتم وغيرها. والرجم هو القبر، كالرجمة بالفتح والضم، وجمع الرجم رجام. والغالب أن الأرجام كانت مقبرة أو مقابر قرية كبيرة كانت إلى جانبها فدثرت. قال جُبَيْهاء الأشجعي:

إن المدينة لا مدينة، فالزَمي ... أرض الستار وقُنَّةَ الأرجام[1]

2 ـ قرية بِسَطْرا: وهي مقسم ماء بحرستا، وسميت باسم قرية اسمها بسطرا دثرت، وقد ورد اسم بسطرا في محضر كتب سنة 648هـ في عدادين ماء نهر ثورا. وذُكر أنَّ هذه المزارع تابعة لحرستا الزيتون[2]، وهي تبدأ من مفرق مسرابا جنوب الطريق العام (السلطاني)، وفيها سد الهوتة[3] الكبير الذي بني على النهر الدومي، والذي يقسم المياه بين أراضي دومة وحرستا ومسرابا. وأكثر أهل بسطرا من عائلة (محفوض)، و(أبوزيتون)، و(الشايطة)، وقد ذكرها العماد الكاتب فوصف محاسنها ومحاسن أزهارها فقال:

تتلو بسطرا أساطير الغرام على ... صوامع الدوح ورق كالرهابين
وقد تراءت بها الأشجار تحسبها ... صفوف خيل، صفوف في الميادين
وللخلاف لإظهار الخلاف على ... أترابه ورق مثل السكاكين
والماء من نكبة النكباء في زرد ... مضاعف السرد صافي النسج موضون
حرستما في حرستا العيش من شظف ... دوما بدوما على حفظ القوانين[4]

---

(1) (معجم البلدان: 1/ 142)، و(غوطة دمشق، محمد كرد علي: ص 160 دار الفكر دمشق).

(2) القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ابن طولون الصالحي: (1/ 369).

(3) الهُوتة: الأرض المنخفضة، والطريق المنحدر إلى الماء.

(4) منتخبات التواريخ لدمشق، تقي الدين الحصني: (3/ 1201 ـ 1202).

3 ـ قرية الثمودية : وهي المكان الذي جُعل للماء موضعاً كالحوض ليتجمَّع فيه، أو الماء القليل الذي يتجمَّع في الشتاء وينضب في الصيف، وكان بها حفرة يجتمع فيها ماءُ المطر، وهي قرية قرب حرستا بالجهة الجنوبية، وكان فيها مصنع لتخزين الماء.

4 ـ قرية داريَّا الصغرى : وتقع بين حرستا ومسرابا، ويمر بها النهر الدومي، وفيها وقعت معركة 25 كانون الثاني سنة 1926م ضد الاحتلال الفرنسي، وأكثر أراضيها تعود لعائلة (أبو زيتون)، و(محفوض)، و(الشايطة). وكانت من أجمل أراضي البلدة من حيث أشجارها المثمرة، ومياهها المتدفقة في أنهارها. وكأنَّ أبو المحاسن الشواء الحلبي تشوَّق إلى منتزهات داريَّا فقال:

ولكم بين دومة وحرستا ... غرف توقف النواظر حسرى

في رياض كأنهن السموا ... ت تضاهي زهر الكواكب زهرا

فلنا حولها مطارح لهو ... مسَّ كف الحيا ثراها فأثرى

أنتحي حيثما توجهت ظلاً ... وأرى حيثما تلفت نهرا

ولنا تحت دوحها حرم نأ ... وي إليه إذا الهجير استمرا

كم فتكنا بالهم فيها وأوسَعْـ ... ـنا صروف الزمان هجراً وهجرا[1]

5 ـ قرية علِّيتة : موقع من مواقع حرستا، وكانت قرية عامرة، وتقع إلى الشمال الشرقي للبلدة. وقيل: علِّيته اسم عائلة حرستانية قد انقرضت من البلدة، ويمر فيها نهر يسقي أراضيها واسمه (نهر عليتة). وفيها من الأراضي ما يعرف بأبو حبل، وكرم الجوز، وعرضي سيف، وقاطوع ليلى، وغيرهم كثير.

6 ـ قرية العوينة : وهي تصغير عين من أرض حرستا، وهي بقايا قرية داثرة، وتمتاز بهواءها النقي، وجودة ثمار التين. ومعظم أراضيها تعود لعائلة (شلة) الكبيرة في البلدة.

7 ـ السَّعْديَّة : تتعدَّدت الآراء حول تسمية هذه القرية بهذا الاسم، فمنهم من قال: هي منزل منسوب إلى بني سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان، وهي نخل وأرض كانت[2].

---

(1) غوطة دمشق، محمد كرد علي: ص: 57.

(2) معجم البلدان: (3/ 221).

وقيل بأنها منزل منسوب إلى سلالة الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه. وأما الرأي الثالث، فقد قيل: بأنها سميت السعدية لأنها سعدت بمرور نهر يزيد في أراضيها. وهي قرية كانت عامرة، وتقع في غرب البلدة، وتفصل حرستا عن أرض برزة، وأكثر أراضيها تعود لعائلة (شلة) الحرستانية. وقد كثرت فيها مصانع تخزين المياه وما زالت آثارها قائمة ليومنا هذا.

8 ـ قرية التُّعْلَةُ: أساس الاسم (الثعلة)، وهي قرية كبيرة كانت بجانب حرستا فدثرت، وفيها الري، وأسفل منها يمر النهر الدومي، ثم تمضي المياه فتقع في برك (الهوتة)، وتقع شرق البلدة، ويمر بها طريق قديم يسمى درب التعلة، وكان محفوفاً على جانبيه بأشجار المشمش، ودربها القديم يلتقي مع الطريق العام (السلطاني) عند جسر التعلة. ومعظم أراضيها الزراعية تعود لعائلة (بكيرة)، و(الجبه جي)، و(شاكر).

9 ـ قرية السنديانة: وهي قرية داثرة، وكان فيها مقبرة كبيرة ما زالت آثارها واضحة قبل منتصف القرن الماضي، وقد ظهرت بعض القبور عند الحفريات، وتقع في أول بلدة دومة إلى الجنوب منها، وهي الآن أراضٍ زراعية، ومعظم أراضيها الزراعية تعود لعائلة (محفوض)، و(الغزي)، و(بوظو)، وبعضٌ العائلات الدومية.

وهناك أراضي زراعية في حرستا تحمل أسماء مختلفة وهي: العدرواني، وعِرواكة، والخامس، والخُمس، والخشبة، والمزرعة، والقلعان، والجرن.

الفصل الثالث
أحياء بلدة حرستا

وهي أحياء سكنية نذكر منها :

1 ـ حي الإنتاج : وهو من الأحياء الحديثة في البلدة ، يتوسطه الطريق العام ، ويبعد عن حي الكوع حوالي 150م ، وكان فيه موقف رسمي لباصات دومة وحرستا . وفيه بني أكبر مساجد البلدة وهو مسجد الزهراء . وسبب تسميته بالإنتاج نسبةً إلى (غرفة الإنتاج) التي كانت موجودة في هذا الحي ، وفيها موظف واحد ، فكان يُسجِّل كل أصناف المزروعات التي تأتي من قرى الغوطة قبل دخولها دمشق ، وهناك رسوم أخرى تؤخذ عن المواشي ، ولم يكن للفلاح شكوى في تلك الأيام إلاَّ من فساد طريقة جباية هذا الإنتاج فقط .

2 ـ حي البيدر الشمالي[1] : يقع في شمال البلدة ، وكانت أرضه بيدراً كبيراً لأهل حرستا يجمعون فيه القمح قبل دراسته ، ولكن دخل هذا الحي في التنظيم الحديث وانضم إلى البلدة .

3 ـ حي الثغرة : ويلفظ عند الحرستانيين بالتاء ، وهو أقدم أحياء البلدة ، بل يعتبر مركز البلدة القديمة ، وأول من سكنه من الحرستانيين كلاً من العائلات التالية :

(بكيرة ، شاكر ، محفوض ، زيتون ، جمعة ، حمزة ، عيون ، سليمان ، الشطي ، عفوف ، الرحيم) .

وفي هذا الحي يقع مقام الشيخ حسين محفوض (أبو دحًّا)[2] وله قبة أثرية ، بناها أحد أفراد عائلة (محفوض) ، وقد هدمت هذه القبة من أجل التوسع في الطريق ونقلت رفاة الشيخ حسين إلى مقبرة حرستا .

---

(1) كان يوجد في هذا الحي قبر رجل اسمه أبو شوشة الذي يدَّعي الإصلاح قديماً ، ولكن هدفه التشويش والاختلاط والتهويش والإفساد في هذه البلدة .

(2) جاءت تسمية الشيخ حسين محفوض (بأبو دحًّا) لأنه كان يضرب المرضعات على ظهرهن إذا غاب عنهنَّ الحليب واساس اسمه (أبو دحَّها) .

4 ـ حي الزحلة : أساس الاسم (دحلة)، أي أرض سهلة ومستوية وهي من الأحياء الحديثة في البلدة، ويعود ملك أراضيها لبعض العائلات الحرستانية والقسم الأعظم لعائلة (اليوسف)، وكان هذا الحي بستاناً لشجر الزيتون، ويقع في القسم الشرقي للبلدة، ويتصف هذا الحي بانتظام شوارعه وبنائه.

5 ـ حي الساّحة : كانت ساحته في القديم سوقاً عاماً للبلدة، يجتمع فيه السكان ويبيعون البضائع ويشترون، وأكثر سكانه من العائلات التالية: (العربينية، النمر، العص، الخطيب، حجازي).

6 ـ حي السوق : نسبةً إلى سوق حرستا القديم، وهو نواة البلدة القديمة وفيه حركة بيع وشراء، وفي شرقي هذا الحي يقع حمام البلدة القديم، وفي جهته الجنوبية معصرة الزيتون الكبيرة، وكانت تقام فيه حفلات التسلية مثل (الكراكوزاتي) و(الحكواتي)، وقد تلاشت هذه الاجتماعات في منتصف القرن الماضي.

وأكثر سكانه من العائلات التالية: (حماد، شومان، الفرخ، عبد الجليل، محفوض، الرحيِّم، الحاج حمود، زيتون، شاكر، العص، جمعة، يوسف، غبيس، البطش، الخباز).

7 ـ حي السيل : يقع في الجهة الغربية الشمالية من البلدة، وهو أكبر الأحياء من حيث عدد السكان، لكنه كان أخفضها من حيث مستوى المعيشة. وسبب هذه التسمية جاءت من السيل الذي يدخل حرستا من الجهة الغربية فيصب في هذا الحي.

8 ـ حي العجمي : كان هذا الحي بستاناً للأشجار المتنوعة يُضرب به المثل. ويقع في الجهة الشرقية للبلدة، وجنوب الطريق العام، وشرقي نهر الحرستاني، ويوجد فيه بيت كبير يسمى (المسْيَدْ)[1]، يعادل الاستراحة في السفر، وكثيراً ما كانت تحلّ فيه قوافل المسافرين من بلاد فارس والعراق عند مرورهم بحرستا متوجِّهين إلى بيت الله الحرام. ويمتاز هذا الحي بشوارع مستقيمة تتقاطع بزوايا قائمة[2].

---

(1) المسْيَدْ: ربما تصغير المَسَد، وهو حبل من ليف، أو الحبل المحكم الفتل، وكان حبلاً لدلو البئر الموجود على الطريق، وهذا البيت يقع على الطريق العام بناه السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم الأول سنة 967هـ، وهو كقلعة في طريق الحج.

(2) ذكر أن العجمي نسبةً إلى (أفريدون العجمي) باني المسجد الذي يقع في خارج باب الجابية بدمشق والمتداول على ألسنة الحرستانيين أن سبب التسمية جاءت من نزول أهل العجم في هذا الحي.

9 ـ حي الكوع : الكوع، هو المنعطف الموجود في الطريق العام (السلطاني)، وفيه حركة تجارية كبيرة من حيث بيع المنتوجات وشراؤها، وكان فيه معصرة للزيتون[1]، وفيه أيضاً مخفراً للشرطة، ومدرسة حرستا الريفية، وفي شرقي هذا الحي تقع بلدية حرستا. وهو من أغلى الأحياء ثمناً من حيث محلاته التجارية.

10 ـ حي المَقْلَبْ : يقع في غرب البلدة نحو الجنوب، وكان بستاناً لأشجار الزيتون. وأهل حرستا كانوا فيما مضى يجمعون نفايات الحيوانات في هذا الحي، وكانت هذه النفايات تُقلَّب بواسطة أُجَراء يومياً كي تجف وتوضع للأراضي الزراعية. ومن هنا جاء هذا الاسم من تقلب النفايات. وبعد هذا انضمَّ للبلدة وأصبح من الأحياء المأهولة بالسكان.

11 ـ حي الهِلال : نسبةً إلى مستوصف (الهلال الأحمر) التابع لجمعية الهلال الأحمر السوري، ويقع هذا الحي في أول البلدة من جهة الشرق عند مفرق مديرة. وبعد أن أُبطل هذا المستوصف بقي الحي يحمل اسم الهلال.

الأراضي الزراعية في البلدة:

1 ـ العذرواني : كانت أرضه وقفاً للزاوية العذراوية بالقرب من مسجد قيس شرقي الصالحية بدمشق أنشأها الشيخ محمد العذراوي، وكان أصلها تربة وأقام بها الذكر يوم الجمعة، وكان يسكن قرية عذرا بغوطة دمشق فأوقف لهذه الزاوية أرض العدرواني في حرستا سنة 900هـ.

2 ـ الجِسْرَيْن : نسبةً لوجود جسرين على نهر ثورا، وفيها أرض تسمى «تُمُّ الجسرين» وهو سوق المواشي حالياً، وتفصل أرض الجسرين حرستا عن بلدة عربيل. وكان يكثر في أراضيها شجر المشمش.

3 ـ البوَّاب : وهو مدخل حرستا عند عربيل. وفيه حدثت معارك كثيرة أيام الثورة السورية بين الثوار والاحتلال الفرنسي.

4 ـ البِلاطة : وهي شرقي حي الإنتاج كانت أرضها سوقاً كبيراً للمواشي في أواخر القرن الماضي ثم بني عليها الفرن الآلي.

---

(1) أصبح مكان هذه المعصرة حديقة عامة.

5 ـ **الحدائق** : تقع شرقي منطقة البلاطة، وكانت حدائق ومنتزهات لخلفاء بني أمية، ثم اشتراها يلبغا حيث عسكر بجنوده فيها.

6 ـ **بستان الشاوي** : نسبةً لعائلة (الشاوي) من دمشق، وكان هذا البستان مُحاط بجدار من التراب، ويقع في أول أرض الجسرين.

7 ـ **بستان كُردو** : يقع شرقي سوق الهلال تماماً، وكان فيه فرن للخبز وبه يمر نهر الحرستاني.

8 ـ **الشَّغورية** : نسبةً لعائلة (الأبرش) من دمشق، وتقع شرقي حي العجمي، وأكثر أراضيها تعود إلى العائلات التالية: (برهمجي، جمعة، حماد).

9 ـ **أرض البازرباشي** : نسبةً لعائلة (البازرباشي) الدمشقية، وقد اشتراها (الباشا)، ومن ثم بنيت عليها إدارة المركبات العسكرية وتقع على جانب طريق مديرة.

10 ـ **البرادعية** : وتقع في دوّار الخُمس، وأرضها تعود لعائلة العربينية.

11 ـ **مروْش الخُمس** : نسبةً إلى شجر الزيتون في أرض الخمس، وهي لعائلة (الزَّعاويط) من الصالحية بدمشق.

12 ـ **أبو حبل** : في أرض العلّيتة، وهي لعائلة (السبيعي).

13 ـ **العوّام** : عَامَ عَوْماً في الماء، أو الكَرْمُ كَثُرَ حَمْلُهُ عاماً وقلَّ آخر، والنخلة كانت تحمل عاماً وعاماً لا تحمل. ويقع شرقي منطقة العدرواني، عند مقسم المياه (الفرش الصغير)، وسكانه من عائلتي (جمعة وسويد).

14 ـ **البَطَّة** : في أرض المزرعة، وهي لعائلة (العاني).

15 ـ **الصايمة** : في أرض المزرعة أيضاً، وهي لعائلة (الشطي).

16 ـ **لَبَنيَّة** : تقع في الشمال الشرقي للبلدة، وهي لعائلة (العظمة).

17 ـ **الزعرورة** : نسبة إلى شجرة الزعرورة، وهي شجر مثمر من فصيلة الوَرْديَّات يكثر في مناطق المتوسط، ثمره أحمر وربما كان أصفر، وله نوى صلب مستدير يملأ أكثر جوفه فيكون لبّه قليلاً، وهو قليل الانتشار، وكان يزرع في بساتين حرستا على ضفاف الأنهار، ومن ميزاته أنه يقاوم الأمراض الشجرية وتقلّبات الطقس، ولم يكن له أهمية عند

الفلاح الحرستاني وهو على وشك الزوال، وتقع أرض الزعرورة في أرض القلعان[1] وكانت ملكاً لعائلة اليوسف ثم أصبحت للأوقاف.

18 ـ **كرم الجوز**: في منطقة علّيته، وكانت لعائلة اليوسف (الباشا) ثم أصبحت لعائلة (حسون). وسمّي بذلك نسبةً لشجر الجوز.

19 ـ **أرض المشياح**[2]: تقع هذه الأرض إلى شمال البلدة، وهي لعائلة اليوسف.

20 ـ **كرم الحايك**: ويقع في أرض المزرعة.

21 ـ **كرم الرصاص**: يقع في منطقة الجرن وأشجاره الزيتون، وهو ذو مساحة كبيرة، وكان لعائلة (الأبرش)، ثم لعائلة (حليمة) من بلدة دومة.

22 ـ **كرم الصبّاغ**: لعائلة (الصباغ) من دمشق، ثم لعائلة (الفرخ)، ويقع في منطقة المزرعة.

23 ـ **القلعانية وابنتها**: وهي أرض وقف في منطقة القلعان.

24 ـ **همكو**[3]: في منطقة الجرن، وهي أراضي وقف، وقسم لعائلة (الأخرس).

25 ـ **كرم الكوسا**: لعائلة (الخرطبيل) المنقرضة من البلدة، ويقع في منطقة الجرن.

26 ـ **عرضي سيف**: في منطقة علّيتة، وهو لعائلة (حسون).

27 ـ **المسْطاح**[4]: في أرض السعدية، وهي أرض أوقاف، وقسم لعائلة (شلة).

28 ـ **الشُّرَيْكية**: في منطقة الجدار، وكانت لعائلة (أبو قفة) ثم اشتراها الباشا.

29 ـ **السُّمَيْريَّة**[5]: في منطقة مروُّش التربة جنوب البلدة. وكانت لعائلة (العاني).

---

(1) القلعان: تقع شرقي أراضي حرستا، وهي أرض إذا دخلها الضعيف لم يثبت إذا بُطش به ولا يثبت على السرج، وهي أرض يُقلع عنه الجالس إذا جاء من هو أعزّ منه أو يحتاج صاحبه إلى أن يقوم مرّة بعد مرّة.

(2) المشياح: أمشَحَت السَّنَةُ، أجْدَبت وصَعُبت، والسماء تقشّع عنها السَّحاب. وربما كانت أرض المشياح قليلة الزراعة وذلك لقلّة وصول الماء إليها، فكانت أرضها جافة وغليظة وقد بنيت على أرض المِشْيَاح مشفى العسكري.

(3) هَمَكو: انهمك في الأمر، جَدَّ فيه ولجَّ.

(4) المِسْطَاحُ: حصير من الخوص، وهو موضع تجفيف التمر والتين والعنب والمشمش. ويُقال: رأيت الأرض مَسَاطِح، أي لا مرعى بها شُبِّهت بالبيوت المسطوحة.

(5) السُّمَيْريَّة: من السَمَر، وهي مجلس المتسامرين. تقول (أمسيتَ البارحةَ في سامر الحي) أي في مجلس مسامرتهم. وكثيراً ما كان شباب حرستا يتسامرون ليلاً، وخاصة في فصل الصيف في الحقول وعلى ضوء القمر.

30 ـ **أرض الجديدة** : تقع بين القابون وشرقي برزة مع نهر يزيد. وهي عبارة عن أرض للأوقاف، وقسم لعائلتي (المدلَّل)، و(البرهمجي).

31 ـ **بلاقين** : في أول منطقة الجسرين.

32 ـ **قاطوع ليلى** : في منطقة العلّيتة.

33 ـ **مرُّوش التربة** : نسبةً إلى غراس الزيتون، والتربة نسبةً إلى مقبرة حرستا والتي أصبح مكانها مدرسة ابتدائية، وحديقة عامة، ومركز هاتف حرستا.

34 ـ **الجارونة**[1] : لعائلة (اليوسف) في منطقة الدوّار غربي البلدة التي هي وقف أيضاً لعائلة اليوسف.

35 ـ **أرض الشّاميَّة** : في منطقة الجدار وهي لعائلة (العاني)، ثم لعائلة (المدني).

36 ـ **الكُوَيْفي** : في أرض بسطرا، وهي لعائلة (محفوض).

37 ـ **مزّاز**[2] **التينة** : وهذه الأرض تقع جنوب الرحبة العسكرية وغربي مديرة وتسمى بأرض البرادعية.

38 ـ **أرض ملْكة** : غربي قرية مديرة، وهي لعائلة (العظمة).

39 ـ **عَرْضي الفتَاح**[3] : في أرض داريَّا الصغرى، وهو لعائلة (محفوض).

40 ـ **الرَّقائق**[4] : شرق مشفى حرستا العسكري عند درب التلّية. وسميِّت بذلك لرقّة أرضها الترابية، وهي لعائلة (جمعة)، وقسم لعائلة (يحيى).

41 ـ **القُلَيْع**[5] : في منطقة أرض الخُمس شرقي البلدة، وهي لعائلة (النِّمر).

42 ـ **النُّشْبَة**[6] : في أرض القلعان، وأول منطقة الجرن جنوباً.

43 ـ **العَوْجَة**[7] : في منطقة العدرواني، وهي لعائلة (جمعة).

---

(1) الجارونة: من الجارون، وهو ولد الحيَّة، والطريق الدارس، وهي منطقة ربما كانت تُكثر فيها الحيَّات.

(2) المزّاز: وهي تحريف لكلمة (المصّاص)، وهو الموزِّع أو المقسم لمياه النهر.

(3) الفتاح: هو النهر الصغير الذي يفتح ويكون عادةً في النهر الدومي.

(4) الرقائق: وهي الأرض المستوية اللّينة التراب تحته صلابة، أو ما نَضَبَ عنها الماء.

(5) القُلَيْعُ: وهو تصغير (القَلْعُ)، وهو شبه الكنف فيه زادُ الراعي وتَواديه وأصرَّتُهُ.

(6) النُّشْبَةُ: الرجلُ الذي إذا نَشِبَ في الأمر لم يَكَدْ يَنْحلُّ عنه. وربما جاءت هذه التسمية من جمع الحَطَبَ، واتخاذ النشب منه.

(7) العَوْجَةُ: أساس الاسم (العَوْجاء)، وهي الضامرة من الإبل التي اعوجَّت هزالاً وجوعاً.

44 ـ **العالية** : في أسفل منطقة المسروب، وهي لعائلة (جمعة) أيضاً.

45 ـ **عَرْضي الجَوْزَة** : في منطقة داريَّا الصغرى، وهي لعائلة (محفوض).

46 ـ **وادي ضَبَابُ** : سمي بذلك لارتفاعه ورؤية الضباب فيه وخاصة صباحاً وهو لعائلة (محفوض) في أرض بسطرا.

47 ـ **القَصْرَانُ** : في أرض الخُمس، وهو لعائلة (العربينية).

48 ـ **عَرْضي الزيتونة** : في أرض بسطرا، وهو لعائلة (محفوض).

49 ـ **الشَرْطُوطُ** : وهو ذو عرض ضيِّق، ولكنَّه طويل وهو كثير في البلدة وأهمه ما كان محاذياً لسكة الترام في أرض بسطرا وهو لعائلة (محفوض)، و(الشايطة) و(طبنَّج).

أهم بيادر البلدة في أوائل القرن الماضي:

1 ـ **بيدر الجِسْرَين** : بنيت مكان هذا البيدر إدارة المواصلات، ومديرية النقل، ومعمل للمعكرونة.

2 ـ **البيدر الشِّمالي** : كان بيدراً لأهل البلدة، وهو أكبر البيادر، وكان بجانبه بيدراً خاصاً لعائلة (جمعة).

3 ـ **بيدر المَسْروبُ** : وهو في نفس المكان الذي أُقيمت عليه مساكن الشرطة.

4 ـ **بيدر السَّهْلِ** : ويقع غرب حي الإنتاج، وقد احترق بكامله في أحد المواسم. وكان شباب حرستا يتخذونه ملعباً لكرة القدم.

الفصل الرابع
المســـاجـد

1 ـ المسجد الكبير : «يقال بأنّه أول وأقدم مسجد في حرستا، ويسمّى المسجد الجامع»[1]. بناه وزير الدولة الأيوبية صفي الدين بن شكر[2]. ويقع غربي منطقة الكوع وشرقي حي الثغرة، وهو من البناء الأثري القديم، تمّ بناؤه على شكل مساجد دمشق القديمة. ففي صحن المسجد يوجد بئر لتخزين المياه التي تأتيه من نهر يزيد بواسطة ساقية، وله محراب من جهته الجنوبية قد برزت أركانه إلى خارج جداره، ويتألف من ستة أقواس من الحجارة، وسقفه مرتفع ومسقوف بخشب الحور، وله سبعة أعمدة من الحجر، منها أربعة منحوتة نحتاً مزخرفاً، ويوجد في جداره الجنوبي خمس نوافذ عالية يدخل الهواء منها في فصل الصيف مما يجعل جو المسجد لطيفاً وبارداً نسبياً. ويبلغ عرض جداره قرابة متر، وبُنيت له مئذنة أثرية من الحجر، وله باب جديد من جهته الشرقية، وباب من الجهة الغربية للصحن وهو قديم[3].

وفي سنة 1983م جرى في وزارة الأوقاف دراسة لبناء المسجد على الشكل الحديث وتوسيعه. وقد تمّ العمل في تجديد البناء سنة 2005م.

وقد خرج منه جماعة من أهل العلم، أصبحوا أساتذةً في مدارس دمشق القديمة، وكانوا علماء في الفقه والقضاء.

---

(1) ويعرف في حرستا بالمسجد العمري، لأن كل مسجد قديم في قرى غوطة دمشق يسمى العمري نسبةً إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(2) وزير مصري، ولد في دَميرة ونشأ نشأة صالحة، تفقّه في القاهرة، ولاّه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ديوانه سنة 587هـ، ثم استوزره، وعمل أشياء في أيام وزارته للعادل، منها: تبليط جامع دمشق وإحاطة سور المصلّى عليه، وعمل الفوارة ومسجدها، وعَمّر جامع المزّة وجامع حرستا.
(المعزة فيما قيل في المزّة، ابن طولون الدمشقي: ص: 54 ـ 55).

(3) جدّد باب هذا المسجدَ ثلاث مرات خلال القرون الماضية، حتى جدّد أخيراً وكتب عليه العبارة التالية: جدّد باب هذا المسجد سنة 1940م، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، «من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها». الجاثية / 14/. وقد جدّد باب هذا المسجد الشريف على نفقة مريم بنت حسين عفوف.

2 ـ مسجد الشّيخ موسى : يقال بناه الملك الأشرف موسى[1] بن الملك العادل، ولمّا فتح دمشق اشترى قايماز النّجمي[2] وجعلها دار حديث، وبنى مسجد أبي الدرداء ويقال جدّه وهو بقلعة دمشق ومسجد الأقصاب خارج باب السلام وجامع الجرّاح وجامع حرستا وزاد وقف دار الحديث النورية[3].

ويقع هذا المسجد في وسط البلدة القديمة، ويعدُّ من المساجد القديمة ذات البناء الأثري. وكان قد استخدم هذا المسجد أيام الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي كمدرسة لتعليم الأطفال قراءة القرآن الكريم، ووجد حجر أثري على أحد جدران المسجد كتب عليه جدّد بناء هذا المسجد سنة 1318هـ. وفي داخله يوجد قبر رجل لم يعرف اسمه[4].

3 ـ مسجد المحاسنة (المحسنين) : بناه أهل الإحسان أصحاب الطريقة الحامدية الشاذلية، ويقع هذا المسجد في نواة البلدة القديمة، ومساحته صغيرة وله مئذنة من الحجر وقد بنيت في نفس العام الذي بنيت فيه مئذنة المسجد العمري سنة 1945م. وللمسجد اسم آخر هو (مسجد السّبع المحاسن)[5]. وأول من سكن بجوار هذا المسجد من العائلات الحرستانية هم: البرهمجي، حسون، شلة، حمزة، الفرخ، طقطق، مهنا، نجيب، عبد المحسن، الشايطة، محفوض، غبيس، حماد، خولان، المدني، خرزوم، شاكر، نعمان.

---

(1) هو الملك موسى بن إبراهيم بن الملك العادل. من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام، حارب التتار وكسرهم كان محمود السيرة جيد السريرة. سمع الملك الأشرف صحيح البخاري وتوفي سنة 635هـ.
(الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 19)، (الأعلام: 7/ 319).

(2) نسبةً إلى الأمير صارم الدين قايماز بن عبدالله النجمي، واقف القيمازية وله بها حمام، توفي سنة 596.
(الدارس في تاريخ المدارس: 1/ 19).

(3) منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب الحصني: (2/ 504).

(4) الشائع على ألسنة الحرستانيين أن باني هذا المسجد هو الفاتح الكبير موسى بن نصير وأن القبر الموجود داخل المسجد هو قبر موسى بن نصير، وهذا أمر غير صحيح لأن موسى بن نصير توفي سنة 97هـ وكان موته بطريق مكة مع سليمان بن عبد الملك. (الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 4/ 85).

(5) يعتقد أن السبع المحاسن هنّ سبع بنات قاموا ببناء هذا المسجد من نفقتهن الخاصة.

4 ـ مسجد الشيخ برق : يقع شرقي مسجد المحاسنة ، وهو أصغر مساجد البلدة من حيث مساحته . بناه والي دمشق شهاب الدين برق[1] سنة 724هـ.

5 ـ مسجد العبّاسي[2] : على الطريق بين دمشق وحرستا .

6 ـ مسجد بني حرب[3] : وهو مسجد كان في طريق حرستا عنده قبة ومصنع لتخزين المياه ، بناه إبراهيم المعروف ببني حرب .

7 ـ المساجد الحديثة في البلدة :

مسجد الزهراء : بني على أرض الأوقاف ، وهو أكبر مساجد البلدة من حيث مساحته ، ويقع في منطقة السهل وغرب حي الإنتاج ، تمَّ البدء في بنائه سنة 1964م تحت إشراف لجنة من أهل حرستا ، وحتى إذا انتهى بناؤه سنة 1972م قام أهل البلدة بقراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان افتتاحه بإشراف الأستاذ إسماعيل محفوض .

مسجد الحُسنْ : بناه المرحوم خليل بكيرة الملقَّب (صائم بك) على نفقته الخاصة ، ويقع على ضفاف نهر العلّيتة .

مسجد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه : يقع في أرض الخامس . بناه المرحوم محمد بن إبراهيم بورة على أرضه الخاصة .

مسجد العجمي : يقع في حي العجمي على الطريق العام (السلطاني) .

مسجد الشافعي : ويقع في منطقة البيدر الشمالي .

وهناك مساجد كثيرة في البلدة على طريق البناء .

---

(1) قَدِمَ الشيخ برق العجمي من الشرق سنة سبع وسبعمائة هجرية ، وتبعه جمع نحو المائة ، وكان يلازم الصلاة والتعبّد ، وكان صاحب (نوبة) ، وجاء إلى دمشق في أيام الأفرم بعد قازان ، وكان في بدايته مريداً لبعض الشيوخ في البلاد الرومية ، ولما أتى دمشق تلقَّاه ابن شيخ السلامية إلى القابون ، وأعطاه الأفرم من خزانته ألفي درهم .

انظر : (البداية والنهاية : 14/ 128) ، و(منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، عبد القادر بدران : ص 337) .

(2) و (3) (ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، يوسف بن عبد الهادي : ص 111) .

(الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ابن شداد : ص 140) .

الفصل الخامس
بعض المعالم الأثرية

1 - حمام السوق القديم:

يقع في حي السوق، وهو من البناء الأثري القديم، وجاء بناءه على طراز حمامات دمشق وقد بناه محمد سعيد الباشا لما كان لهذه العائلة من النفوذ والسيطرة في البلدة.

وبني تحت الأرض حوالي عشرة أمتار، وله سقف مؤلف من قبة كبيرة وحولها قبات صغيرة لها فتحات وضع فيها زجاجات كي يُرى طلوع الضوء منها، ويبلغ عرض جداره من 2 ـ 3 أمتار ونصف، وفيه مصنع لتخزين الماء الذي يأتيه من نهر يزيد بواسطة ساقية مكشوفة، ويصب الماء من الساقية في حلل نحاسية خاصة وضعت في (القميم) مكان الموقد.

لقد كان حمام السوق في حرستا وجهاً من وجوهها الفنية، ومظهراً من مظاهرها الصحية، وملتقى للحياة الاجتماعية، وفي تلك الأيام الماضية قلَّ أن يذهب إلى الحمام شخص بمفرده لئلاَّ يشعر بالغربة والاعتزال عن الآخرين، فلا يستطيع أن يكلِّم أحداً إلاَّ ما ندر، وكثيراً ما كان يغتسل بسرعة فائقة ويلملم نفسه ويمضي هائماً على وجهه خارج الحمام. أما العائلات والأصدقاء والأحبة من الجيران فليسوا على عجلة من أمرهم في الحمام والاستحمام، ففيه يقضون الأوقات الطوال في الأحاديث الودِّية والعائلية والاجتماعية، وتبادل القصص والأخبار على مسطبة الحمام في الفناء الجوَّاني، والعرق يتدفق من أجسادهم، ويحبُّون ألاَّ يفارقوا هذا المكان الدافئ بحرارة الصداقة وفرح اللقاء عن غير وعد.

فالحمام بالنسبة لهم جميعاً، رجالاً ونساءً وأطفالاً، كباراً وصغاراً منتجع اللقاء، يختلفون إليه كل أسبوع أو كل شهر وربما كل مناسبة سعيدة، ويرون فيه نعيماً مقيماً، ومتعةً لذيذة. ففيه يتحررون من قيود لباسهم بكل خجل وحشمة، وما أن ينهي الواحد استحمامه حتى ينهال عليه الشوق للاستحمام مرةً أخرى، إنها لحظة صفاء عاطفي، بهذا اللقاء الاجتماعي، يتجلَّى فيها الأدب والمجاملة والابتسام والكلم الطيب.

ولم يشأ أهل حرستا أن يكون الحمام للاستحمام فحسب، بل أرادوا أن يكون مجتمعاً لأبناء الحارة التي يقطنونها ومكاناً مريحاً يستمتعون فيه بجماله الفنيِّ كما يستمتعون بحرارة ماءه ودفئه.

وجرت العادة أن يبدأ حمام الرجال من بعد صلاة الفجر حتى الظهر، وحمام النساء من الظهيرة حتى المساء، وإذا كان الرجال لا يأخذون معهم زاداً يأكلونه، فنساء البلدة يصطحبن معهنَّ بقج المناشف الخاصة بهنَّ مع ما يرافقها من المأكولات الشهيَّة من (حواضر البيت) كالتين المجفف والزيتون على اختلاف أنواعه والجوز وطواحين اللفت المخلَّل والجزر والمجدَّرة وصنوف الفواكه الموسمية. وفي الحقيقة، لقد تغيَّرت الأيام، وتبدَّلت الأحوال في الثلث الأخير من القرن الماضي، وأصبح حمام السوق نشوة من عالم الذكريات الحبيبة إلى النفس لدى الحرستانيين، ممن عرفوا هذا الحمام السَّاحر بفنِّه وشعروا بنعيمه ولمسوا طيب القلوب من بعضهم البعض. فنظرة أبناء هذا الجيل الحاضر تختلف تماماً عن نظرة ما كان قبلهم من الأجيال الغابرة.

لقد أظهر حمام البلدة بإعجاب مهارة الهندسة المعمارية التي شُيِّد على أساسها هذا الحمام، والمفهوم الاجتماعي الذي يتجلَّى فيه عبر هذه الحياة، وما كان عليه الناس من محبَّة وولاء وإخاء، وآداب تعتبر مضرب المثل. فحياة الحمام كان يشوبها نوع من الضحك والصخب، وبعض المنازعات بين النساء، ولكنها آنية عابرة مثيرة للضحك والتندر، أو أصوات تتعالى لتضيع في وسط الجو البخاري المخيِّم على أجواء الأفنية والمقاصير، أو من هواجس شيطانية، أو أحلام مروِّعة تأخذ بلبِّ النائم الوحيد في الحمام، فإذا أفاق من نومه خالها حقيقة وبادر للحديث عنها بين الناس.

وحمَّام حرستا يعاني نزاع الزوال لإنتشار الحمام المنزلي، والتطور السريع للأبنية، والمفاهيم الحضارية الحديثة التي أدت إلى استقلال الأبناء عن الآباء في بناء طابقي يتطاول.

ودراستنا للحمام القديم في حرستا كانت متعددة الجوانب للتعرف عليه وعن الحياة فيه، وما يثير في نفس كل حرستاني من هوى للماضي يذكِّره بمتعه البسيطة والحبيبة التي أصبحت جزءاً منه، وقال بعضهم:

لم أبغ بالحمام طيب تنعّم ... أفنى البكاء دموع عيني أجمعا

فبكيت فيه أسيً بجسمي كله حتى كأنَّ لكلِّ عرق مدمعا

أقسام حمام البلدة:

أ ـ البرّاني : وهو المكان المخصَّص لاستقبال الزبائن، وبه يخلعون ويرتدون ملابسهم قبل وبعد الاستحمام حيث يتناول بعضهم المشروبات الساخنة كالشاي، كما أنهم وبخاصة النساء يُحيين في هذا البراني بعض مناسباتهم المتعلقة بتقاليد حمام الخطبة والنفاس والغمرة. . . وتختلف بنية البراني المعمارية وأسلوب بنائها عن باقي أقسام الحمام التي تتطلب بنيتها الحفاظ على الحرارة وعدم تبديدها. وفي جميع الأحوال يشكل البراني باحة رباعية الشكل في سقفها منور قبة كبيرة بها نوافذ تُسهم في توفير الضياء اللازم لهذا القسم من الحمام. وتستند القبة الكبيرة على المثلثات الكروية الناجمة عن تلاقي الأقواس التي تتوضع بجهات باحة البراني الأربع، وتتدلَّى من سقف القبة سلاسل السرج والمشكاوات والوسائل الأخرى التي يُنار بها البراني. ويدخل إلى البراني بدرج إلى الأسفل يبلغ عشر درجات، وفي وسطه بحرة كبيرة. وأرض البراني كانت مرصوفة بحجارة مصقولة قبل تبليطه، وفي أحد جوانب البحرة يوجد (الفائض) ومهمته تصريف ما يفيض من المياه إلى قناة خاصة تذهب بتلك المياه إلى (المراحيض). وجدران البراني مليئة بالرسوم والسجاد والآيات القرآنية، والحِكَم والمرايا وعبارات الترحيب بالزبائن. وفي جدرانه أيضاً فتحات بها رفوف (كتبيَّات) يوضع فيها صُرر المناشف والفوط والبقج. وإلى جانب المدخل الخارجي إلى البراني سدّة (تخت) خاصة بالمعلِّم يرحِّب منها بالزبائن القادمين ويودّع الخارجين عقب استحمامهم، ويبارك لهم استحمامهم بقوله (نعيماً) ويتقاضى أجراً (وفا) الاستحمام، ويسلِّم كل زبون ما كان أودعه لديه من حاجيات ساعته ونقوده وخاتمه. . . وإلى جانب من تخت المعلم صندوق لحفظ الأمانات خلال استحمام أصحابها، وبجواره صندوق آخر لحفظ النقود (الغلّة)، وبجوار تخت المعلم المشار إليه خزانة أو أكثر بواجهات زجاجية، ورفوف خشبية موضوع فيها صرر (بقج) المناشف، والفوط (العدّة)، كما يوجد في البراني درج إلى السطح لنشر عدة الحمام بعد غسلها.

ب ـ الوسطاني : وهو على شكل دهليز متعرج، أرضه مبلَّطة بدروب متعاقبة من الحجر الأسود والوردي، وجدرانه مبلَّطة لعلو يقارب المترين بالبلاط العادي ومن ثم مبطَّنة

بالكلسة العربية وقشر القنب المفروم (كتكت) والجص، يعلو ذلك الدهليز قبة نصف أسطوانية (جبلونة) بها قمريات زجاجية. والقسم الثاني من البراني منها أماكن الراحة (المراحيض)، وفي المدخل إلى الوسطاني على طرفيه بابان متقابلان يتحركان على (زعرور) للحفاظ على حرارة الوسطاني وعدم تبديدها.

وعند الدخول إلى الوسطاني بالمناشف والفوط يقوم رجل كبير السن بتبديل تلك المناشف بمناشف أخرى مبلولة قبل الدخول إلى الجوّاني.

والقسم الوسطاني يُتخذ في فصل الصيف مكاناً للاستحمام بدل الجوّاني لأنَّ حرارته ألطف من الجواني، ويوجد به إيوانين فيهما أكثر من جرن.

جـ ـ الجوّاني: بعد الدخول إلى الوسطاني ننحرف نحو الشمال فندخل الجواني فنجد بابين متقابلين يتحركان على (زعرور)، ويتوسط الجواني ممر بيت النار، وفي بدايته مسطبة الحرارة وفوقها طاقة تُطل على حلل الماء الحار يُطلق عليها (طاقة الخزانة)، ومن هذه الطاقة يتم الاتصال مع عامل القميم (الوقّاد) من أجل تعديل حرارة الماء زيادة أو نقصاناً حسب الرغبة المطلوبة. كما أنَّه يتم تسخين الجواني بالبخار المنطلق من حلل الماء إلى الجواني، وذلك فضلاً عن الدفء والبخار الناجم عن سفح الماء فوق بلاط ممر بيت النار. وعلى بلاط الممر المذكور وبلاط المسطبة يستريح الراغبون في الاستحمام والمستحمون خلال فترات الاستحمام كي تتحلل مفرزات أجسامهم مما يساعد على غسلها بسرعة وسهولة. ومنهم من يجلس على مسطبة الحرارة للاستشفاء من بعض الأمراض وبخاصة أمراض البرد وتشنُّج العضلات.

وعلى جانبي ممر بيت النار إيوانات، في كل إيوان عدد من الأجران تتدفق إليها المياه الحارة والباردة التي يتحلَّق حولها المستحمون، ويتفرع عن كل من الإيوانين عدد من المقاصير بكل منها جرن أو أكثر، وتتم إنارة الجواني والمقاصير المتفرعة عنه والوسطاني بالقمريات[1].

---

(1) القمريات: هي فتحات زجاجية بالقباب على شكل قنديل مقلوب بألوان متعددة، وكانت مهمة تلك القمريات توفير الضياء في النهار للأقسام الداخلية من الحمام حتى يتخلص المرء من رائحة الزيت المحروق بالسِّراج التي كانت تستخدم في الإنارة قبل استخدام الكهرباء من جهة، ومعرفة الوقت بحسب حركة الضوء عبر القمريات قبل انتشار استعمال الساعات فضلاً عن الأُنس والمتعة بذلك الضوء الملون بألوان زجاج القمريات.

د ـ القميّم : وهو الجناح الخارجي من الحمام، ويدخل إليه من مدخل خاص به بخارج الحمام من الجهة الغربية، ويضم القميم ثلاثة أقسام هي: الخزانة والموقد وسكن القميمي. فالقميمي كان يحتل جانباً أساسياً في عملية سير الحمام يوم كان تسخين الماء يعتمد على القمامة وروث الحيوانات والمواد المشتعلة الأخرى.

وأما الخزانة فهي عبارة عن حجرة يشكل سقفها قبة منخفضة تساعد على عدم تبديد البخار المتصاعد من حلل الماء الحار والذي يأخذ طريقه إلى الجواني والوسطاني عبر طاقة الخزانة، وبذلك يدفأ هواء الجواني والوسطاني من الحمام.

وبأرض حجرة الخزانة حلَّتان كبيرتان من النحاس، الداخلة منهما أكبر من الحلَّة القريبة من طاقة الخزانة، وكلتاهما أعلى من بقية أقسام الحمام ليسهل سير الماء الحار إلى الأجران، وتسمَّى الحلَّة الداخلية الكبرى بالحلَّة النارية لأنها فوق الموقد مباشرة وهي أعلى من الحلَّة الثانية التي تليها، وذلك ليسهل انتقال الماء إلى الحلَّة الثانية المرفوعة على ركائز تسمح بمرور بقايا اللهب من تحتها ولذلك تسمَّى بالحلَّة (الدخانية)، والتي يفيض منها الماء الحار إلى حوضين إلى يمين وإلى يسار الحلة المذكورة، وبكل حوض منفذ للماء الحار إلى الأجران يُطلق عليه اسم (الخراج)، وفي الجدار الخارجي (الذي بجهة القميم) للخزانة قوس معقود من الآجرِّ يسمح بإدخال الحلتين أو إخراجهما في حال إصلاحهما أو تبديلهما. كما توجد في الجدار المجاور للقميم فتحة مقابلة لطاقة الخزانة وهاتان الفتحتان تساعدان على مراقبة حال المياه من الخارج وتُفيدان في إحداث البخار واتصال العاملين بالحمام مع القميمي لتعديل حرارة الماء أو تسخينها.

الموقد : وهو بأسفل الحلة النارية، ويتم إيقاد المشعلة الأولى بواسطة أداة طويلة من فتحة تُوصل إلى ما تحت الحلة النارية بواسطة درج، وبعد أن تشعل النار تغلق تلك الفتحة بأحكام، ومن ثم يباشر الوقَّاد بالإيقاد من الطاقة المخصَّصة لذلك، وتستمر هذه العملية ما دام الحمام يعمل ولكن (القميمي) يبطئ أو يسرع حسب الرغبة في درجة حرارة الماء.

وأمَّا أرض الموقد فهي مثقوبة بثقوب تسمح بسقوط الرَّماد[1] وصغير الجمر، ويمكن سحب ذلك الرماد والجمر من كوَّة خاصة للإفادة منها في غمر قدور الفول (تدميسها)، ولتأمين عملية التهوية للموقد.

مسكن القميمي : في الجهة المقابلة للموقد مسكن بسيط مخصص لسكن القميمي وأسرته وبجواره أكداس مواد الوقود الواجب دفعها باستمرار عبر طريق الطاقة المخصَّصة لذلك، وفي سقف المسكن فتحة تؤمن النور عندما يكون الباب مغلقاً. كما توجد بالقميم باحة صغيرة ملحقة بالقميم تستعمل منشراً لتجفيف الوقود. وبالإضافة إلى ذلك يوجد اصطبل صغير للدابة التي تجر الطنبر المخصص لنقل الوقود من المزبلة الخاصة بالحمام، أو لجمع الوقود من مصادره المختلفة ونقله إلى المزبلة المذكورة لقلبه قبل نقله إلى الحمام لاستهلاكه في الوقيد.

العاملون في الحمام:

1 ـ المُعلِّم : وهو مستأجر الحمام، وغالباً يكون من أهل البلدة، ويجلس عادةً على مسطبة (تخت) خاص في البراني بحيث يستطيع ملاحظة الداخلين والخارجين، فيقوم بالترحيب بهم آمراً الأجير بالمثول بين يدي الزبون وخدمته وتقديم أحسن (الفُوط) له. كما يقوم المعلم باستلام نقود وأمانات الزبون ويحفظها له في صندوقه ويسلِّمها له بعد الاستحمام، ويتقاضى من الزبائن أجر الاستحمام (الوفا).

2 ـ النَّاطور : وهو مسؤول عن نظافة الحمام ومظهره الخارجي، ويستقبل الناطور الزبون بالترحيب ويساعده على خلع ملابسه، فيبسط له فوطة يحجب عورته بها عن أعين الآخرين، وبعد أن يتم خلع ثيابه يلف على خصر الزبون فوطة تُسمَّى (الماويَّة). ومن أعمال الناطور أيضاً: غسل الفُوَط والمناشف ونشرها بعد استعمالها، وعليه حفظ ملابس الزبائن في صرر (بقج) خاصة بكل منهم.

---

(1) كان يُستفاد من ذلك الرَّماد في الملاط من أجل البناء، وفي طلاء الأسطحة (الزريقة) والقباب، فهي عازلة للرطوبة، ومانعة لتسرُّب المياه.

فترة استحمام النساء:

1 ـ المعلِّمة : تقوم بنفس المهام التي يقوم بها المعلم، وقد تكون إحدى قريباته زوجه مثلاً أو أنها تعمل لحسابه، وقد تكون مستأجرة (ضامنة) للحمام في فترة استحمام النساء. وكانت تقوم بمهمة عسيرة وشاقة، وأهمها حلّ النزاعات والمشاجرات التي كثيراً ما كانت تحدث بين النساء في الحمام.

2 ـ الناطورة : ومهمتها استقبال النساء في البراني فتأخذ منهن بقج الملابس وتحفظها (تنطرها) خلال فترة الاستحمام. وبعد الاستحمام تنادي عليها (البَلاَّنة) لإحضار مناشف كل أسرة.

3 ـ البلاَّنة : وتقوم بحشو الحناء للمسنَّات، وتدهن النفساء (بالشداد)[1]، بعد أن تجلسها على بلاط ممر النار، وتقوم أيضاً بإحضار الماء البارد إلى الأجران مقابل أجر رمزي من كل زبونة.

ومن عمَّال الحمام يوجد جامع القمامة، وروث الحيوانات، إذ يقوم بجمعها من أماكن تجميعها (المقلب)، وروث الحيوانات من الإصطبلات إلى منطقة خاصة بالحمام فينشرها بالشمس ويقلِّبها ويخلِّطها ثم ينقلها على دابة بوعاء كبير يسمَّى (شليف) لاستخدامها كوقود لتسخين مياه الاستحمام. وقد تطوَّر الأمر فيما بعد فاستبدل الشليف بالطنبر التي تجرّه الدابة.

ويستفيد القميمي من أجرة سلق قدور الفول[2]، وعدد هذه القدور يزداد في فصل الشتاء. وكان معلِّم الحمام يستفيد من ثمن الرماد الذي يباع في ذلك الحين بعد خلطه مع الكلس والغضار ليُستعمل كملاط[3] (مونة) للبناء.

---

(1) الشداد: هو خليط مؤلف من الزنجبيل والقرفة والدبس ولسان العصفورة والآس والزيت وبيض الدجاج البلدي.

(2) كان أجر القدر يتراوح بين (30 ـ 100) قرش سوري.

(3) قد يخلط ذلك الرماد مع الكلس وقشر القنب المفروم ليُستعمل في طلاء الأسطحة والجدران. وكان يعرف ذلك الرماد باسم (القصرمل)، وربما كان ثمن القصرمل يغطي نفقات الحمام، فقد كان حمل القصرمل (السريجة) يُباع بمجيدين، وهذا المبلغ يأخذ منه القميمي (أبو المية) أجرة سحب القصرمل من تحت الحلل وما تبقَّى يبقى للمعلم كمصروف للحمام. =

مياه الحمام : يصل الماء إلى بحرة البراني للحمام من نهر يزيد بواسطة مجاري (قساطل)، ومن فائض البحرة يذهب قسماً من الماء إلى الحلل التي فوق الموقد، وقسم يتجمَّع في مكان خاص (حاووظ)، وأما الفائض فيذهب إلى المراحيض.

ويُساق الماء بعد تسخينه من الحلل في قساطل فخارية تمرَّر بالجدران، وعند الأجران تثقب القساطل فيسكب الماء الحار فيها، ويُسدُّ الثقب بسدادة خشبية (قرميَّة).

وقود الحمام : كان حمام السوق في حرستا يعتمد في تسخين الماء على القمامة، وكان للحمام مزبلة خاصة بظاهر البلدة، وكانت قيمة تسليم الحمام (فروغه) من مستأجر إلى آخر تزيد أو تنقص وفقاً لكبر أو صغر المزبلة، بالإضافة إلى العدّة التي بالحمام من مناشف وفُوط وغيرها. وكان شخص يتعهَّد المزبلة بالنشر (الفرد) والقلب، وكان يطوف بدابته حارات حرستا يجمع منها القمامة، كما يجمع روث الحيوانات من الاصطبلات (البوايك). وبعد أن امتد العمران في البلدة وكثرت محلات النجارة أخذ الحمام يعتمد على نشارة الخشب، وأوراق النباتات وقشر الجوز، ومن ثم انتشر استعمال المازوت فاستعيض عن القميمي ومكان سكنه، وتوفير مكان الاصطبل (البايكة) للدابة. وبذلك تمَّ حرمان قيِّم الحمام والقميمي من عوائد سلق قدور الفول المدمَّس.

دخول الحرستانيين حمام السوق:

عندما يدخل الحرستاني إلى الحمام يبدأ بالسلام (السلام عليكم) على المعلم والناطور وتهنئة الزبائن الذين انتهوا من استحمامهم الموجودون في البراني، فيردّون عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيرحِّب به القائم على الحمام قائلاً: أهلاً وسهلاً تفضَّل شرِّف عالمسطبة. وهنا يسرع الناطور ويقدم للزبون بقجة الفوط وتضم: فوطة لصرِّ الثياب، وفوطة يلفَّها على وسطه تسمَّى (الماويَّة)، وأخرى تسمَّى (الظهريَّة) توضع على كتف وظهر الزبون كي تحمي جسمه من برد البراني.

= أما بالنسبة لليرة الذهبية العثمانية (العصمليَّة) فكانت تعادل خمس مجيديَّات وربع المجيدي وعندما انخفضت قيمة النقد العثماني أصبحت الليرة تعادل أربعين مجيدياً. وأجزاء المجيدي كانت: نصف وربع وهو ما يعادل (2) بيشلك، ثم نصف بيشلك ويعادل برغوتين كبيرين ونصف أو ما يسمَّى (بأبي المَيَّة). والبرعوت الكبير يعادل برغوتين صغيرين أي خمس نحاسات. والقيمة الشرائية لكل نحاسية في تلك الأيام تعادل القيمة الشرائية لعشر ليرات سورية من نقد هذه الأيام.

وَفَا الحمام : عندما ينتهي الشخص من الاستحمام يخرج إلى البراني، فيقول له المعلِّم: نعيماً، فيجيبه: الله ينعم عليك. ويدفع للمعلم أجر (وفا)[1] استحمامه ويخرج مودَّعاً بمظاهر الاحترام.

حمام السوق عند نساء البلدة:

كان حمام السوق يشكل جانباً هاماً من الصلة الاجتماعية بين النسوة، يقضين من خلالها أوقات من السرور والتعارف، وقصِّ السير والتحدث عن أخبار غيرهنَّ من الجيران والأقارب. ولم يقتصرن على ذلك فكنَّ يُحيين في الحمام مناسبات خاصة بهنَّ كحمام الخطبة والعروس والغمرة والنفاس (الفسخ)، لما كان لهذه المناسبات أهمية خاصة عند نساء بلدتنا. فهي تذهب إلى الحمام مع بناتها وكناينها وأطفالها أو مع قريباتها وجاراتها جماعات جماعات. وتقوم الواحدة منهن بتحضير (بضبٍّ) لوازم الحمام من ثياب نظيفة، ومناشف (فُوط)، ولا تنسى أن تصطحب معها (الطَّاسة المكَّاويَّة)[2]، والترابة الحلبية، والمشط، والحنَّاء والليفة والصابون وكيس قماشي للتفريك.

وعندما يحين الوقت المخصَّص للنسوان في حمام السوق، ويكون عادةً بعد صلاة الظهر يذهبن إلى الحمام بكل سرور وابتهاج، وتلتقي النسوة في الحمام ومن تَسبق تفرض سيطرتها على جرن أو أكثر أو مقصورة فتحجزها كي يأخذن حريتهنَّ في الاستحمام.

فإذا دخلن الحمام أقبلت القائمة عليه ورحَّبت بهنَّ وبدأت تمايز بين الأطفال، فإذا كان بينهم طفل كبير السن أو جسمه أكبر من عمره طلبت من أمه إرجاعه إلى البيت حتى لا يطّلع على عورات الأخريات.

وفي الجوَّاني يختلط الحابل بالنابل مع البخار وصوت الطَّاسات، وصراخ الأطفال، وحديث النسوان حتى لا يُسمع شيئاً مما يجري حتى قيل في ذلك: (مثل حمَّام النسوان) وأول ما يحمِّمن الأطفال، ثم الفتيات، ثم تستحم كبيرات السن وقد يحممن بعضهن بعضاً. وهنا يتم حشو الحناء للمسنَّات من نساء البلدة.

---

(1) كان معدَّل وفاء الحمام في الخمسينات من القرن الماضي يتراوح بين (50 ـ 75) قرشاً سورياً.

(2) نسبةً إلى مكة المكرمة، وكانت هذه الطاسات تجلب مع الحجاج في جملة الهدايا.

طعام الحمام:

يتناول الأطفال بعض لفائف الخبز (شُبَّابات) المدهون بالزيت البلدي والزعتر، وبعض الفواكه كالبرتقال والخيار أو القتة والجزر والخس، وربما يصطحبن معهن من حواضر البيت كالزيتون والمكدوس أو الكشكة الخضراء وعليها الجوز المبروش والزيت، ويبدأ تناول الطعام والكلام معاً. وبعد الفراغ من الطعام يَدخلن مرةً ثانية إلى الجواني ويقمن بالتفريك والاستحمام للرأس بأكثر من عشرة أدوار (أتمام) وكل دور يُسمَّى (تُمْ)، ثم يقمن بتليين الجسم بالليفة والصابون حتى يصبح الجسم كالشمندر الأحمر. وقد تلجأ بعض المستحمات إلى تهريب الأولاد من دفع أجر الاستحمام (الوفا).

ومشاجرات النسوان في حمام السوق فهي لابدَّ منها واقعة، فلا يمضي حمام إلاَّ وتحدث به مشاجرة. والسبب في ذلك هو خرق إحداهنَّ العادات والتقاليد المتعارف عليها، وقد تكون تلك الأسباب مضحكة تؤدي إلى أمور لا تحمد عقباها إلاَّ إذا قامت المعلمة وبعض النسوة بحل النزاع كيلا ينتقل هذا الشجار إلى أزواج المتشاجرات، فقد تلتقي إحداهن مع ضرّتها لأول مرة في الحمام فيبدأ الشجار بالكلام ثم ينتهي بضرب الطَّاسات وشدِّ الشَّعْر والعضِّ مصحوب ببعض العويل والدعوات. وقد يحدث الشجار بسبب غَرْف الطاسات من ماء الجرن بكمية أكثر من بعضهن البعض. ومن الأسباب التي تؤدي إلى إتساع النزاع في حمام النسوان أنَّ إحداهن يصطحبن معهن أطفالاً ذكوراً إذ لا يجوز أن يدخل حمام النسوان من تجاوز السابعة من عمره.

وحمام السوق في حرستا يتناقل عنه الحرستانيون بعض الأقاصيص والحوادث الخارجة عن نطاق العقل والمنطق، ولكنها كانت عندهم حوادث صادقة راسخة في عقولهم وهم على قناعة منها وهي ما تحدث عن الوحدة والعزلة التي قد تفرضها طبيعة العمل في الحمام، وخاصة في فترات الليل.

وأخيراً نجد أن الحمام كان من المرافق العامة للبلدة. فهو أُنشئ للطهارة والنظافة ولا يبعد عن المسجد الكبير سوى بضع أمتار، فقد بناه المحسنون الميسورون وجعلوه وقفاً، إذ كان الاستحمام به مجاناً. ويُروى أن الفقراء كانوا يتناولون به طعامهم وشرابهم مجاناً مع

الاستحمام وبعض النقود يأخذونها لقاء دعوة بظهر الغيب وقراءة أم الكتاب والدعاء لباني وواقف هذا الحمام.

وبعد التطور الحديث لبلدة حرستا والتوسع العمراني العشوائي الذي أصاب هذه البلدة على حين غفلة من أهلها واعتماد كل بيت حماماً خاصاً قلّل ذلك من ارتياد أبناء حرستا لهذا الحمام وإهمال البلدية له، كل هذا أدّى إلى توقفه عن العمل ومحاولة هدمه دون أن يرمَّم ويكون صرحاً حضارياً يذكّر هذا الجيل بجيل آباءه وأجداده، وكيف كانوا على قلب رجل واحد.

2 - مصانع تخزين المياه في أراضي البلدة:

كثرت أعمال الخير في البلدة قديماً، إذ كان بها رجالاً يعملون على بناء مشاريع تعكس الفائدة على أهل البلدة والفقراء وابن السبيل. فلذلك قام كثير من الفلاحين ببناء مصانع لتخزين المياه، وأكثرها كان على ضفاف الأنهار وبجانب الطرقات العامة بين البساتين. وبني إلى جانب كل مصنع (معلف) صغير، إذ كان الفلاحون يضعون بهذا المعلف بعض ما تنتجه أرضهم وأشجارهم، فيمرّ الفقير ويأخذ حاجته من هذه الثمار، ومن هذه المصانع تشرب الناس ويسقون دوابهم ومواشيهم.

ولنذكر بعض هذه المصانع:

1 ـ مصنع الشيخ إبراهيم[1]: كان قريباً إلى مقام الشيخ إبراهيم دفين مقبرة حرستا الحالية.

2 ـ مصنع بسطرا: ويقع في أرض بسطرا بجانب الطريق العام (السلطاني) على أرض عائلة (محفوض)، وقد قامت ببناءه وزارة الكهرباء جانب سكة خط الترام الكهربائي.

3 ـ مصنع بكري: يقع في أرض علّيتة.

4 ـ مصنع التلّي: في منطقة الدوار، نسبةً لعائلة (التلّي).

5 ـ مصنع الجواني: في أرض المزرعة.

6 ـ مصنع الحاج حمُّود: في منطقة العلّيتة، ونسبةً لعائلة (الحاج حمُّود).

7 ـ مصنع الدان: في منطقة الجرن.

8 ـ مصنع الزغبي: في منطقة العلّيتة.

---

(1) يذكر بأن الشيخ إبراهيم كان يعمل في دائرة آل اليوسف (الباشا) في حرستا.

9 ـ مصنع السعدية : بالقرب من أرض عائلة (شلة) .

10 ـ مصنع الشريكية : يقع على طريق أرض الجدار غربي البلدة .

11 ـ مصنع المشياح : في منطقة المشياح شمال البلدة .

12 ـ مصنع العدرواني : بناء عائلة (البرهمجي) في أرض العدرواني .

13 ـ مصنع عرَّاط : يقع على الطريق العام بين القابون وحرستا ، ونسبةً لعائلة (عرَّاط) .

14 ـ مصنع غبُّور : في منطقة العلّيتة ، ونسبةً لعائلة (غبور) .

15 ـ مصنع القُبَّة : غربي أرض السعدية ، وشرقي بلدة برزة .

16 ـ مصنع شليح : ويقع في منطقة المزرعة .

17 ـ مصنع المسروب : في منطقة المسروب شمالي البلدة .

18 ـ مصنع مصلح (أمبور) : في منطقة الدوَّار .

وأكثر هذه المصانع قد دثرت معالمها من أرض البلدة ، وذلك بسبب توسيع الطرقات وعدم الاهتمام بها وترميمها وقلّة الحاجة إليها ، أو أنَّ أكثرهم هدمها بحثاً عن الكنوز والآثار القديمة .

3 - المعاصر:

1 ـ معصرة الباشا : بناها محمد سعيد الباشا ، وتقع في حي السوق ، وتبلغ مساحتها حوالي 10000م^2 ، وسقفها مؤلف من ثلاثين قبة من حجر الآجر الأحمر ، وفي داخلها أقواس حجرية سوداء ترتكز عليها القبب ، وفيها معالف لوضع الزيتون فيها ريثما يحين عصره ، وفيها ثلاثة آبار لوضع الزيت .

2 ـ معصرة العظمة : تقع في حي الكوع ، وقد هدمت وأصبح مكانها حديقة عامة . وقد بناها مختار بك العظمة شقيق (شفيق بك) أحد أركان رجال الحكومة العثمانية .

3 ـ معصرة الدبس : وتقع مقابل المسجد العمري بالجهة الجنوبية ، وهي لعائلة العاني .

4 - الطواحين:

1 ـ طاحونة بسطرا : وتقع في أرض بسطرا بجانب الطريق العام (السلطاني) . وعلى ضفاف نهر ثورا (الدومي) عند الهوتة وكانت تعمل على الماء ثم المازوت . وذُكر أنَّ الحرستانيين كانوا يصعدون سطحها عند قدوم السيل .

2 ـ طاحونة الجسرين : تقع شرقي أرض الجسرين وتعمل على الماء، وكان أهل بلدة عربيل يطحنون بها أيضاً.

5 ـ قبة الشيخ حسين أبو دحًا : وهي قبة أثرية قديمة بناها أحد أفراد عائلة محفوض، وهي من الحجر الأسود، وفيها مقام الشيخ حسين محفوض[1] الملقب بأبو دحًا، وهو شقيق الشيخ حسن محفوض الذي رحل إلى قرية حلبون ودفن هناك. وتذكر البلدة للشيخ أبو دحًا عدة كرامات، وفي داخل القبة أدوات القتال التي كان يستخدمها الشيخ حسين أثناء الحروب وهي درع وسيف وخناجر وخوذة.

وهناك مقامات أيضاً لبعض رجال البلدة نذكر منهم: الشيخ محمد محفوض المعروف (بالرستاني)[2] ومقامه شرقي مسجد المحاسنة.

ومن المقامات أيضاً، مقام الشيخ أحمد المدفون في دائرة بيت الباشا، وكان شيخاً يعلِّم الأولاد قراءة القرآن الكريم، ثم اتخذ مقامه أيضاً مكاناً لتعليم الأولاد على أيدي بعض الشيوخ. وفي حي السيل يوجد مقام الشيخ جُبير[3]، وقد بنيت بجانبه حديقة عامة.

6 ـ دور أثرية : كثرت في حرستا الدور الأثرية ذات الطراز الدمشقي القديم. ومن أهم هذه الدور ما كانت في حي الثغرة، وبجوار مسجد المحاسنة، فكانت قاعاتها تمتاز بمساحة كبيرة مبنية من الحجر الأسود، ويرتكز سقفها على أقواس حجرية ومن ثم يُطلى سقفها بصفار البيض، وأكثر هذه القاعات وجوداً عند أغنياء البلدة.

7 ـ مدرسة حرستا الرِّيفيَّة : تقع في حي الكوع، وهي ذات بناء أثري من الحجارة، ورمِّمت عام 1945م، وكان التعليم فيها آنذاك للصف الرابع الابتدائي، وكان الصف الخامس في قضاء دومة، وقد بنيت على أرض الأوقاف. وفي عام 1948م بني الطابق الثاني في عهد قائمقام دومة المرحوم (طلعت السرَّاج). ولا تزال هذه المدرسة عامرة

---

(1) و (2) شجرة نسب آل محفوض في البلدة.

(3) لعلَّه جُبير بن نُفير بن مالك بن عامر أبو عبد الرحمن، ويقال أبو عبدالله الحضرمي، جاء من حمص وسكن دمشق، وحدَّث عن أبي الدرداء وكثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أسلم في خلافة أبي بكر، وكان ثقة فيما يروي من الحديث، توفي سنة 75هـ. (مختصر تاريخ دمشق: 6/ 9).

إلى يومنا هذا. وقد تخرَّج من المدرسة أساتذة في المعارف وغيرها من العلوم الأخرى وهذا ما يبعث الابتهاج والأمل بنشوء جيل تفتخر به هذه البلدة[1].

8 ـ خط التّرام : في عام 1885م تمَّ إنشاء خطوط (تراموای) في مدينة دمشق، يتفرع خط إلى حرستا ومن ثم إلى دومة. على أن تكون الخطوط تجرّ مركباتها بالخيل، وتمَّ العمل خلال سنتين ونصف، وبعد ذلك تقدم الأمير محمد أرسلان إلى الحكومة العثمانية بأخذ موافقة على تسيير الترام بواسطة الكهرباء، وقد قبلت الحكومة العثمانية هذا الطلب وقامت بإنشائه شركة بلجيكية. وما زالت آثار خط الترام موجودة في حرستا، تبدأ من أرض الجسرين ثم إلى منطقة الكوع حتى أرض بسطرا. ويوجد له فوق النهر الدومي جسر حديدي، وله موقف (مقص) في أرض بسطرا، كي تنتظر العربة الأخرى القادمة من دومة إلى دمشق حتى لا تصطدم العربات مع بعضها. وكان أهل دمشق يركبون في الترام كي يتمتعوا بمناظر أزهار المشمش في فصل الربيع، إذ كان الترام (الترين) يشق بساتين حرستا، فكان متعة للنفس، وراحة للجسم.

9 ـ قناة المياه : وهي قناة أثرية تمتد من العين الموجودة جانب الطاحونة في أرض الجسرين جنوب حرستا، حتى بلدة دومة. وقد قام بحفرها (وديع الشيشكلي) في أيام الاحتلال الفرنسي لما كان لعائلة الشيشكلي من النفوذ والسيطرة في بلدة دومة، وقد حُفرت هذه القناة تحت الأرض قرابة / 50م/ إلى الأسفل، وكل / 23م/ يوجد فتحة إلى الأعلى يتراوح قطرها متراً واحداً، وعمقها / 50م/ وقد وُضع على كل فوهة بلاطة من الإسمنت. ولا تزال هذه القناة موجودة، وآثارها واضحة على الطريق العام بين حرستا ودومة. وأما بالنسبة للماء الذي كان يمرُّ فيها، فكان عذباً نقياً تشرب منه بلدة دومة بأكملها.

10 ـ البلدية : بناها المرحوم حمدي بن حسن جمعة سنة 1945م على أرض الأوقاف، وتقع على الطريق العام، وهي تشمل على عدد من الغرف، وذو مساحة واسعة من الأرض. وبني لها طابق ثاني. وفي عام 1948م حفر بئر في غربي البلدة وهو

---

(1) وقد درَّس في هذه المدرسة عدد غفير من أساتذة حرستا نذكر منهم: محمد راشد الشعار، خليل البرهمجي، محمود ضويع، اسماعيل محفوض، محمود حمزة، محمد أمين لبابيدي من دمشق، وكان مديراً للمدرسة خيري زريق من دومة.

مشروع المياه القديم، ومنه يتم توزيع المياه إلى داخل البيوت، فوزعت أنابيب (6 إنش) في جميع أزقة البلدة وشوارعها، ولم يبق نقطة منعزلة إلاَّ ومرَّت الأنابيب منها، وأصبح طول شبكة المياه / 13كم/ ضمن البلدة فتخلصت البلدة آنذاك من ناحية الشرب بمشروع لا بأس به، ولكن الفقير يومها بقي بدون ماء مما يضطره إلى الشرب من مصدر آخر للمياه، ولأن البلدية لم تضع في الشوارع بعض الحنفيات مدَّعيةً في سبيل تشجيع الناس وحثِّهم على الاشتراك.

11 ـ سوق المواشي: وهو من الأسواق المشهورة في جميع البلاد السورية منذ أقدم العصور، وكان شرقي حي السهل مكان مسجد الزهراء الحالي، ثم انتقل إلى أرض البلاطة شرقي حي الإنتاج وبني مكانه الفرن الآلي، ثم انتقل إلى أرض الجسرين في منطقة تسمى (الخشبة) وهي أرض للأوقاف، ولم يزل فيها إلى يومنا هذا.

12 ـ دائرة بيت الباشا: تقع هذه الدائرة[1] في منطقة البستان، وغربي حي الثغرة، وهي من البناء الأثري القديم، بناها الباشا محمد سعيد الباقوري وهي عبارة عن دائرة أعماله التي يقوم بها من زراعة وسقاية وتجارة، وفيها الكثير من العمال

---

(1) كانت دائرة (دايرة) بيت الباشا في حرستا تتألف مما يلي:

1ـ الكتخدا: وهو كأمين السر العام في أيامنا، ومن كاتب الكتخدا وكتاب الخزينة، وكتخدا الحريم، وأغوات الداخل وهؤلاء يرأسهم ضابط يدعى سلحدار آغا، يلازم الباشا دائماً. وهناك آغا السلام وكتخدا الحجاب، وهما مسؤولان عن أمور التشريفات، ثم أمناء الخزينة والختم والدواة، وآغا الثياب، والآغا الجوخدار، وقائد المهترخانة، وهؤلاء يكونون من مماليك الباشا الخاصين وموضع ثقته. ثم وكيل الخرج، وآغا المفتاح، وأمين الموائد، ورئيس الإصطبل.

2ـ القواصون المرافقون، وأرباب النوبة (المهترخانة) وسعاة البريد، والسواس، وصاحب المشاعل، والطهاة الخ. . . ، مما لا تتم الدائرة بدونهم، وهناك رئيس الشواش الخاص، له وظائف أخرى في استتباب النظام في دائرة الباشا.

3ـ رئيس تفنكجية، وهم مشاة، ورئيس الدالاتية، وهم فرسان، وهؤلاء يماثلون الشرطة والدرك في أيامنا.

4ـ الخولي: وهذه المهنة كانت في أواخر حياة الباشا، إذ كان الكثير من أهل حرستا يعملون عند بيت الباشا بهذه المهنة وهي الإشراف على بعض الأعمال الزراعية، ويعملون أيضاً أُجراء في حراثة الأرض على الفدان، والسقاية، والحصاد، وقطف المحاصيل الأخرى. وبعد فترة من الزمن وتوزيع هذه الملكية الكبرى التي أكل عليها الدهر وشرب وذهبت مع أدراج الرياح، انتقلت هذه الدائرة إلى الأوقاف وهدمت، وكان من الأجدر ترميمها والحفاظ عليها.

والمرابعين، إضافة إلى ذلك وجود عدد كبير من (فدادين) البقر والخيل التي تستخدم لحراثة الأرض.

13 ـ سوق الهال : يقع على الطريق العام (السلطاني)، وبجانب بلدية حرستا تماماً وشرقيها. بناه حمدي بن حسن جمعة على أرض الأوقاف. وهو من الحجر، ويتألف من ثمانية مقاسم مؤجرة للتجار وكلهم من حرستا.

الفصل السادس
ما قيل في حرستا من شعر

أُعجب العرب ببلدة حرستا حينما كانوا يمرّون بها في تجارتهم، فكانوا يضعون رحالهم تحت ظلال أشجارها، وعذوبة ماء سواقيها، وها نحن أولاء نقتطف ما قيل فيها وفي منتزهاتها على اختلاف القرون.

قال ابن حيوس في منطقة بسطرا:

ويا حبذا ريحٌ على ما تحمّلت ... تروح بريّاكم من الشّام أو تغدو
تهيج أشواقاً وتنقع غلة ... ففيها الضنى والبرءُ والصاب والشهد
وربعٌ (بِمَقْرَى)[1] لا العقيق ولا اللوى ... وورد (بسطرا) لا العَرار[2] ولا المردُ[3]
وجاليةٌ بالحسن خالبة به ... تعرضها هزل وإعراضها جدّ[4]

وقال العماد الأصفهاني:

يا صاحبيَّ أفيقا فالزمان صحا ... ولان من بعد تشديد وتخشين
حرستما في حرستا العيش من شظف ... دوماً بدومة على حفظ القوانين
دارُ المقامة قد أضحت محلكما ... ونلتما العزّ في أمن من الهون[5]

وقال الشيخ كمال الدين الغزي الدمشقي في نهر علّيتة ويزيد:

ونهر قلبين ونهر الزينبي ... ونهر باب الثلث عذب المشرب
كذاك (علّيتا) خليج منه ... حديث عطر الروض يروى عنه
ومن يزيد جدول الشجرية ... ونهر مهدي فرقة فضية[6]

---

(1) مَقْرَى: قرية قريبة إلى دمشق وقد خرِّبت وهي شرقي الصالحية. (معجم البلدان: 5/ 173)، (ضرب الحوطة على جميع الغوطة: ص 161).

(2) العَرار: بهار البرّ، واحده بهارة.

(3) المردُ: الغض من ثمر الأراك أو نضيجه.

(4) غوطة دمشق، محمد كرد علي: ص 53.

(5) (خريدة القصر وجريدة العصر)، العماد الأصفهاني. بغداد 1973م.

(6) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبد القادر بدران: ص 417.

وقال عبد الغني النابلسي الدمشقي في حرستا:

رب يـــوم بحرســـتا رطـــب ... وســـط روض بالصبـــا مضطـــرب
وعقـــود الكـــرم لمـــا انتظمـــت ... فتدلـــت بعقيـــق الرطـــب
ســـترتها حلـــة مـــن ورق ... اخضـــر خـــوف عيـــون العـــرب
هـــذه اللـــذة مـــن فارقـــها ... صـــار يفديـــها بـــأم وأب[1]

وقال القاضي (أحمد بدوي الخطيب) الملقب بشيخ العرب، يصف حرستا أيام الاحتلال الفرنسي:

يطـــوف علـــى حرســـتا الســـحاب ... بمـــاء معـــين مـــن المعصـــرات
يريـــد الـــهبوط فـــلا يســـتطيع ... لمـــا حـــلّ فيـــها مـــن المنكـــرات

وبعث المرحوم خليل مردم بك الدمشقي قصيدة للأستاذ محمد راشد الشعار يصف له ما في الغوطة وحرستا من جمال وروعة فقال:

كـــم فـــي أزاهـــير الريـــاض لنـــاظر ... مـــن مقلـــةٍ وسَـــنى وخـــدٍّ نـــاضرِ
ماســـت أمـــاليدُ الغصـــون بوشـــيها ... مِعطـــارةً وازَّينـــتْ بجواهـــر
وكســـتْ وحلَّـــت ســـمحةً أشـــجارها ... فجلـــتْ عرائسَـــها بوشـــي فـــاخرِ
معقـــودة الإكليـــل زهـــراءَ الحُلـــى ... خفَّاقـــةَ الأقـــراط ذاتَ أســـاورِ
أرخـــت مـــن الظـــل الظليـــل غصونُـــها ... طُـــرَراً وأذيـــالاً وفضـــلَ مـــآزرِ

وقال سيف الدين الخطيب يصف حرستا:

حرســـتا النـــور يـــا بلـــد الرجـــاء ... حرســـتا فيـــك مـــن حـــرس الســـماء
حرســـتا الحـــارس القـــهار دومـــاً ... يُـــنزل فيـــك مـــن حلـــل البـــهاء
يحصنـــك المـــهيمن مـــن بـــلاءٍ ... وذاك الحصـــن مـــن رب الســـماء
وشـــعبك نبتـــه نبـــت أصيـــل ... كريـــم لا يمـــلّ مـــن العطـــاء

(1) منتخبات التواريخ لدمشق، محمد أديب الحصني: (3/ 1068).